مختصر الكلام

على

لامية شيخ الإسلام

كتبه

أبو عبد الرحمن خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

تقديم

الشيخ الفاضل

أبي عبد الله عبد الرحمن الشميري

تقديم الشيخ الفاضل

أبي عبد الله عبد الرحمن الشميري حفظه الله

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أما بعد:

فقد طالعت شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للشيخ الفاضل أبي عبد الرحمن خليل بن عبد الله الحمادي حفظه الله فوجدته شرحًا جميلًا مختصرًا سهلًا مفيدًا أجاد فيه وأفاد.

فجزاه الله خيرا ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

أبو عبد الله

عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري

في ١٣ شوال ١٤٤٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهِ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ:

فهذا شرح مختصر كتبته في شرح اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، أوجزت فيه الكلام؛ وذلك لأنَّ هذه المنظومة مِن أول ما يدرسها طالب العلم المبتدئ في باب العقيدة.

فلما كان كذلك كان مما ينبغي على الشارح مراعاةُ مستوى الطالب العلمي ومقدرته الذهنية، وذلك بعدم إشغاله بالتوسع في هذا الباب والذي سيأتي معه في غيرها من المتون المتوسعة في باب العقيدة.

فرأيت أن أشرحه شرحًا يناسب مستوى المبتدئ؛ بما يعرف به معتقد أهل السنة والجماعة في هذه الأمور المهمة التي أوردها الناظم في منظومته.

واللهَ أسألُ أن يبارك في هذا الجهد القليل، وأن يتقبل منَّا أعمالنا، وأن ينفع بها من شاء من خلقه، وأن لا يردها علينا لسوء فِعالِنا وكثرة ذنوبنا فهو سبحانه وتعالى العفو الكريم.

والحمد لله ربِّ العالمين.

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية

اسمه: هو الإمام العالم الحبر البحر الجهبذ وحيد عصره وفريد دهره شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

مولده: ولد في حران وهي بلد في شمال العراق يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ.

نشأته ومكانته العلمية: نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم فجده عبد السلام بن عبد الله كان إمامًا من أئمة الحنابلة. ومشهورًا بالعلم، ووالده عبد الحليم كان من العلماء المشهورين، وأخوه عبد الله أيضًا كان إماما، فنشأ شيخ الإسلام في بيئة علمية، وترعرع في بيت والده في دمشق.

حفظ القرآن عن ظهر قلب وأقبل على العلوم الشرعية واللغوية حتى أتقن تعلمها وهو ابن بضع عشرة سنة، فبهر العلماء بذكائه وقوة حفظه حتى رأوا أنه أهل للفتوى فأجازه العلماء وهو في سن الحادية عشرة.

كان أعلم بمذاهب أهل الباطل من أهل الباطل أنفسهم، فتصدى للفلاسفة والباطنية والملاحدة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

قال عنه الحافظ المزي: "ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه".

وقال: ابْن تَيْمِية لم ير مثله مُنْذُ أَرْبَعِمِائَة سنة

وقال عنه الذهبي: "شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وكرماً ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر". (١)

وقال الواسطي: "والله ثم والله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته.. " وكان يتكلم العبرية أيضاً.

وقال بعض معاصريه: "أي حديث لا يعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية فليس بحديث".

شيوخه: قال تلميذه ابن عبد الهادي: "وبلغ عدد شيوخه أكثر من مائتي شيخ"،

تلاميذه: كثير ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية، والحافظ الذهبي، وابن عبد الهادي، وابن مفلح صاحب كتاب الفروع.

مؤلفاته: ألف كثيراً من المؤلفات ولو قُسمت على أيام حياته لكان نصيب كل يوم سبع عشرة ورقة فهو من المكثرين في التصنيف؛ **ومن أبرزها:** العقيدة الواسطية، والفتوى الحموية، وكتاب السياسة الشرعية، ومنهاج السنة وغيرها كثير.

قال الذهبي: "جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية فوجدته ألف مصنف ثم له مصنفات أخر". اهـ

---

(١) وللإمام الذهبي ترجمة واسعة لشيخ الإسلام، توسَّع فيها وأطنب، بما يليق بمقام هذا الحبر، نُشرت بعنوان: ترجمة شيخ الإسلام بن تيمية، "من الدُّرة اليتمية في السيرة التيمية" طبعته دار الرسالة في ٢٤٧ صفحة.

وفاته: توفي شيخ الإسلام ابن تيمية وهو سجين في قلعة دمشق في شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨ للهجرة وعمره ٦٧عاماً.

قال أهل التاريخ عن جنازته: لم يسمع عن جنازة في مثل هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد بن حنبل.

وشيخ الإسلام لم يتزوج لاشتغاله بالعلم ويقال: أنه اتخذ سرية يتسرى بها ثم تركها.

كان شديد التواضع والهضم لنفسه.

قال تلميذه ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥٢٤): فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل وأنَّه لا شيء وأنَّه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه من ذلك أمرًا لم أشاهده من غيره وكان يقول كثيرًا: ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت: أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي، وكان إذا أثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلامًا جيدًا، وبعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن يأتنا من عند يأتي

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضرات

وليس لي دونه رب يدبرني ... ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي

فنسأل الله أن يرحمنا وإياه، وأن يجمعنا به في جنته. والحمد لله.

نسبة اللامية لشيخ الإسلام

اختلف أهل العلم المتأخرون في صحة نسبة القصيدة "**اللامية**" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذلك على قولين:

القول الأول: من نسبها إليه منهم:

المرداوي فقد شرح القصيدة في كتابٍ أسماه: "اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية".

الألوسي في كتابه "جلاء العينين" (صـ ٧٣) حيث قال: "اعلم أولاً أن عقيدة الشيخ ابن تيمية الموافقة للكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة مستفيضة مفصلة في تصنيفاته، وحبه وتعظيمه للصحابة الكرام لاسيما (الشيخين) طافحة به عباراته وذلك أظهر من الشمس في رابعة النهار خصوصًا لمن تتبعها في تأليفاته، ونقلها بأسرها يفضي إلى الملل إلا أني أحرر لك البعض: (وعن البحر اكتفاء بالوشل) فمنه قوله: يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي ... رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ". ثم سرد القصيدة بأكملها.

والشيخ عبد العزيز الرشيد في شرحه على الواسطية، فقد قال في شرحه على العقيدة الواسطية: قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في لاميته المشهورة: قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وراءَهُ ... وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ.

وغيرهم ممن نسبها لشيخ الإسلام، واستدلوا على ثبوتها بأمرين:

١-شهرة هذه اللامية ونسبتها لشيخ الإسلام بين أهل العلم.

٢-وجود القصيدة في مخطوط بين كتب ورسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية.

القول الثاني: إنكار نسبتها إليه، ومنهم العلامة العثيمين ¬ حيث قال: "الظاهر أنها لا تصح أصلا عن الشيخ"[(١)] اهـ.

وحجة من شكك في نسبة هذه المنظومة لشيخ الإسلام رحمه الله أمور ومنها:

الأول: أنَّ كل من ترجم له لا يشير إليها، سوى الألوسي في كتابه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.

الثاني: أنها لم تذكر في مؤلفات شيخ الإسلام المطبوعة، بل قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: "ولم أضع في هذا المجموع إلا ما أعرفه لشيخ الإسلام، وقد أعرضت عن نزر قليل نسب إليه؛ كمنظومة في عقائد".

الثالث: ذكر لفظة القديم في وصف القرآن الكريم في البيت الخامس:

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل

وقد عُرف عن شيخ الإسلام رحمه الله إنكار إطلاق هذه اللفظة على القرآن الكريم، كما سيأتي ذكره عند الكلام على هذا البيت من القصيدة.

الرابع: أنَّ شيخ الإسلام رحمه الله ذكر -كما في مجموع الفتاوى (٦/٢٩٧) - في معرض رده على استدلال أهل البدع ببعض شعر الأخطل فقال: "وقد أنشد فيهم المنشد: قبحًا لمن نبذ القرآن وراءه... وإذا استدل يقول قال الأخطل"، وهذا البيت مذكور ضمن أبيات اللامية.

---

(١) "شرح السفارينية" (ص٤٢٧-٤٢٨) طبعة دار البصيرة، تحت شرح البيت رقم (١٠٢).

ولكل واحد من هذه الإشكالات رد عليها.

ومع ذلك فالخلاف هنا لا يضر مادام أنَّ الذي فيها حق، وقد احتوت على مسائل في الاعتقاد اتفق عليها العلماء، فهي منظومة عظيمة على اختصارها سواء أكانت لشيخ الإسلام أو لغيره.

فإن كانت لشيخ الإسلام فبها ونعمت، وإن كانت لغيره فلعل الله سبحانه وتعالى أراد بنسبتها لشيخ الإسلام أن تنتشر وأن يتعلمها الصغار والكبار، ولعل ذلك -والله أعلم- لما كان في قلب كاتبها من الإخلاص وحب منهج السلف، فإنَّ السير على هذا المنهج القويم فيه من البركات ما الله به عليم.

وإني لأرجو أن ينفع الله بكلامنا وما نقوله أو نكتبه، وأن يرزقنا الإخلاص فيه، وأن يجعل في ذلك البركة، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعل لي لسان صدق في الآخرين، فإنَّ الأيام تتسارع والأعمار تتناقص، ولا يبقى إلا ما أراد به العبد وجه ربه سبحانه وتعالى، فنسأل الله أن يجعلنا على ذلك.

والحمد لله ربِّ العالمين.

نصُّ المنظومة

١. يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ
٢. اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ
٣. حُبُّ "الصَّحابَةِ" كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ
٤. وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ علا وَفَضائلٌ لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَل
٥. وَأَقُولُ فِي" القُرْآنِ "مَا جَاءَتْ بِهِ آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ
٦. وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ وَ "الْمُصْطَفَى" الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ
٧. وَجَمِيعُ "آيَاتِ الصِّفَاتِ" أُمِرُّهَا حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ
٨. وأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَى نُقَّالِهَا وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ.
٩. قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ" القُرَانَ "وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ "الأَخْطَلُ"
١٠. وَالمُؤْمِنُونَ "يَرَوْنَ" حَقّاً رَبَّهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ "يَنْزِلُ"
١١. وأُقِرُّ ب "الْمِيزَانِ" و "الْحَوضِ" أَرجُو بِأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ
١٢. وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّم فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمِلُ
١٣. و"النَّارُ" يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى "الجِنَانِ" سَيَدْخُلُ
١٤. ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ في قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
١٥. هذا اعْتِقَادُ "الشَّافِعِيِّ" و "مَالِكٍ" وَ "أَبِي حَنِيفَةَ" ثُمَّ "أَحْمَدَ" يُنْقَلُ
١٦. فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ

قوله: "يا سَائِلِي":

السؤال نوعان: أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس الحاجة إليه فهو مباح أو مندوب أو مأمور به، والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت فهو مكروه ومنهي عنه، والذي هنا هو الأول سؤال الاسترشاد والاستبصار.

قوله: "مَذْهَبِي وعَقيدَتِي":

لا فرق بين المذهب والعقيدة فهما بمعنى واحد، والمراد المذهب في الأصول الذي يذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وما يعتقده في ذلك.

ومقصود السائل أن يبين له شيخ الإسلام معتقد السلف الصالح الذي ينتهجه وما هي أصوله، وذلك لأنَّ شيخ الإسلام كان على عقيدة السلف في ذلك ولم يأت بمذهب جديد.

وإذا قلنا عقيدة السلف الصالح؛ فالمراد بهم الصحابة عليهم رضوان الله والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

قوله: "رُزِقَ الهُدى": المراد بالرزق هنا هو رزق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح، فإنَّ القلوب لا تصلح ولا تفلح ولا تشبع حتى يحصل لها العلم بالحقائق النافعة

والعقائد الصائبة، ثم التخلق بالأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيل بالأمرين على أكمل وجه بلا طريق لها إلا من طريقه.[١]

قوله: "مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ":

الهداية: هي بيان ما ينتفع به الناس، ويحتاجون إليه، وهو العلم النافع، والعمل الصالح.

وهي نوعان:

١. **هداية الدلالة على الحقّ والإرشاد إليه؛** وهي التي يقدر عليها الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [سورة الرعد: ٧].

وهي هداية عامة لجميع الخلق

٢. **هداية التوفيق والتثبيت؛** وهي التي لا يقدر عليها إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٢] [سورة القصص: ٥٦].

وهذه الهداية الخاصة التي يمتنُّ الله بها على من شاء من عباده.

وقول الناظم: "رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ":

بمعنى أنَّ من يطلب الهداية وسعى في أسباب تحصيلها هداه الله لها ووفقه إليها، فتجتمع له الهدايتان هداية الإرشاد وهداية التوفيق.

---

(١) وهذا هو المقصود الأعظم، فإذا رزق الله العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه، فقد تمت أموره واستقامت أحواله الدينية والبدنية وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحته النصوص النبوية واشتملت عليه الأدعية النافعة. انظر تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٠٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/١١٢-١١٣).

وذلك لأنه كان ساعيًا في الأولى؛ فسأل ليستبصر في أمر دينه فوفقه الله لها، وأعانه على العمل بأسباب الهداية.

دلت على ذلك الأدلة المتكاثرة، قال الله سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة مريم: ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة محمد: ١٧]

قال العلامة ابن كثير:

أي: والذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها، ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أي: ألهمهم رشدهم. اهـ[1]

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٥).

قال الناظم رحمه الله:

اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ

هذا تحضيض من شيخ الإسلام لتدبر ما سيقوله، وحثٌّ للطالب على استيعابه وفهمه، فإنه سيذكر للسائل أصولًا في الدين وعقيدة يجب التمسك بها والسير عليها.

قوله: "**اسْمَعْ**": المراد اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ثم يعمل بما أمر به.

وقوله: "**كَلامَ مُحَقِّقٍ**": أي مُحكِم الصَّنْعَة رصين، بمعنى أنَّه متيقن مما يعتقده، فليس عنده شك في هذه الأمور التي هي من أمور العقيدة.(١)

وبدأ الناظم بهذا البيت ليبين للسائل أنَّ أصولَ الدين وأمورَ العقيدة يجب أن يكون العبد متيقنًا فيها، ولا يجوز فيها الشك، وعلى ذلك دلت أدلة كثيرة.

فمنها قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

فاشتُرط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين- والعياذ بالله- الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٥].

---

(١) وفي المعجم الوسيط (١/ ١٨٨): (حقق) الْأَمر أثْبته وَصدَّقه يُقَال حقق الظَّن وحقق القَوْل والقضية وَالشَّيْء وَالْأَمر أحكمه وَيُقَال، حقق الثَّوْب أحكم نسجه وصبغ الثَّوْب صبغا تَحْقِيقا مشبعا وَكَلَام مُحَقّق مُحكم الصَّنْعَة رصين. اهـ

ومنها قوله ﷺ: "**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**". رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: "**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**". رواه مسلم.

فاشترط ﷺ في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط. (١)

فلا بد أنَّ نفهم جميعًا أنَّ الشك في أصول الدين ومسلمات العقيدة كتوحيد الله تعالى، ونبوة رسوله ﷺ، وصدقه فيما جاء به عن الله تعالى من أخطر ما يخطر على القلوب فهو من خطوات الشيطان، ومزلات الأقدام، ومواطن الهلكة؛ التي توجِب على العبد التفقه في دينه حتى يعلم كيف يجتنبها ويحذرها، فإنَّه إن زلت قدم العبد في ذلك المزلق الخطير فقد وقع في الكفر.

هذا مجرد الشك فكيف بمن ارتاب قلبه بذلك، فإنَّ ثمَّة فرق بين الشك والريب.

---

(١) **قال العلامة سليمان بن سحمان النجدي:** وقد دل القرآن على أنَّ الشك في أصول الدين كفر، والشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كذبه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه، ونحو ذلك، كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه، وهذا كفر بإجماع العلماء. انتهى من كتاب الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق صـ ٣٧٤، تأليف الشيخ العلامة: سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالى- ألفه رداً على أحد طغاة العراق، الذين ما فتئوا في تضليل الخلق، وتلبيس الحق، وتشويه دعوة الإصلاح بكل وسيلة. وانظر كذلك ((معارج القبول)) (١/ ٣٧٨، ٣٧٩).

والفرق بينهما: أنَّ الشك: هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء، وأما **الريب** فهو شك مع تهمة، ودل عليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٢]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٣].

فإن المشركين مع شكهم في القرآن كانوا يتهمون النبي ﷺ بأنه هو الذي افتراه وأعانه عليه قوم آخرون. اهـ(١).

قوله: "مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ": القول المحقَّقُ هو الكلام المبني على الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قوله: "لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ": أي لا يعوج عنه؛ وما ذاك إلا لقوة عزيمته ورسوخ عقيدته، فمن قويت عزيمته ورسخت عقيدته لا يعوج عن الطريق المستقيم الذي هداه الله ووفقه لمعرفته.

قوله: "وَلاَ يَتَبَدَّلُ": التبديل تغيير الشيء عن حاله، بمعنى أنَّه لن يغير هذا النهج والعقيدة التي يسير عليها، وذلك لأمرين:

١. لأنَّ القول في أمور العقيدة لا يكون إلا بنصوص شرعية محكمة صحيحة صريحة، يبيِّنها صاحبها بمعانيها الصحيحة، ولا يتأول شيئًا منها تأويلاً مذمومًا، فكانت لا تتغير ولا تتبدل.

٢. أنَّ أمور المعتقد لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الأحوال والأماكن، من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإنَّ جميع الأنبياء على دين واحد ومعتقد واحد وإنما اختلفت شرائعهم.

---

(١) انظر معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٨١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**". رواه البخاري.

بمعنى أنهم متَّحِدُون في العقائد، وإن اخْتَلَفُوا في فروع الشرائع، كالأولاد الذين يكونون من أب واحد، وأمهاتهم شتَّى.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ أَصْلَ دِينِهِمْ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّوْحِيدُ؛ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ فُرُوعُ الشَّرَائِعِ. اهـ[1].

وفي قوله: "**لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ**": تطمين للسائل؛ ليأخذ بهذا المنهج القويم والمعتقد الصحيح، ولن يأتي يوم يتغير عنه هذا المسئول فليكن السائل كذلك.

فأصول الدين لا يجوز العدول عنها ولا الرجوع عنها مهما حصل للعبد.

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "**أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ**". رواه ابن ماجه.

قال السِّنْدِي: **قَوْله**: "**أَنْ لَا تُشْرِك**" صِيغَة نَهْي، وَالْمُرَاد أَنْ لَا تُظْهِر الشِّرْك، وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي اِخْتِيَار الْمَوْت وَالْقَتْل دُون إِظْهَار الشِّرْك، وَالله تَعَالَى أَعْلَم. اهـ

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٩).

قال الناظم رحمه الله:

حُبُّ" الصَّحابَةِ "كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ

بدأ الناظم هذه العقيدة بذكر الصحابة وذلك لأمور ومنها:

١. أنهم حملة هذا الدين.

٢. أنهم خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

٣. أنَّ حبهم إيمان وبغضهم نفاق.

٤. لكثرة من يطعن فيهم ويسبهم.

٥. لأنَّ الطعن فيهم القصد منه الطعن في الشريعة.

٦. لأنَّ قضية الصحابة من مسائل الاعتقاد، وهي إجماعية بين أهل السنة والجماعة، والقرآن والسنة مملوءان بالثناء عليهم، ولذا بدأ بها مصرحة. قاله المرداوي

٧. لأنَّ القدح في الصحابة يعتبر من أول المسائل العقدية التي حدث الانحراف فيها، فقد حدثت في عهد عثمان والقدح فيه.

قوله: "حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ":

بيَّن معتقده في صحابة النبي ﷺ، وأنَّه معتقد أهل السنة والجماعة، الذين مذهبهم حب أصحاب النبي ﷺ.

والصحابة: جمع صحابي، والصحابي لغة مشتق من الصحبة: وهي الملازمة والمرافقة، يقال: صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً، وَصَحَابَةً، أي: عاشره ورافقه ولازمه، وهذا أعظم تعديل لهم؛ أنهم صحبوا النبي ﷺ.

والصحابي من حيث الاصطلاح: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللت ردة على الأصح. (١)

وصحابة رسول الله ﷺ كلهم عدول بتعديل الله تعالى لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ.

قال النووي في التقريب: "الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به" انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: " اتفق أهل السنة على أنَّ الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة " انتهى.

قوله: "كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ"

دليل على أنَّ عقيدة السلف هو حب الصحابة كلهم عليهم رضوان الله.

قال الطحاوي: " وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ " . اهـ (٢)

ويجب محبتهم جميعا عليهم رضوان الله لأمور:

١. أنهم أصحاب النبي ﷺ ولا يختار الله لصحبة نبيه إلا الأخيار.

---

(١) نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢١)، وهذا التعريف اختاره البخاري ومن قبله شيخه علي بن المديني.

(٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٨١).

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ ". رواه أحمد بإسناد حسن.

قال العلامة العثيمين في فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص: ٨):

اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، ولم يكن الله -تعالى- ليختار -وهو العليم الحكيم- لصحبة نبيه إلا من هم أكمل الناس إيماناً، وأرجحهم عقولاً، وأقومهم عملاً، وأمضاهم عزماً، وأهداهم طريقاً. اهـ

٢. أنَّ الله رضي عنهم ووصفهم في كتابه بأوصاف عظيمة:

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٧٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحديد: ١٠].

٣. أنَّهم حملة الدين، ومن نقلوه إلينا، ومن وصلنا هذا الدين صافيا نقيًا بسببهم؛ فكيف لا نحبهم؟!

قال أبو زرعة الرازي(١): "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح أوْلى بهم وهم زنادقة". اهـ(٢)

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، أَبو زُرْعَة الرازيّ: من حفاظ الحديث، الأئمة. من أهل الري. زار بغداد، وحدّث بها، وجالس أحمد بن حنبل. كان يحفظ مئة ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل، روى عنه من الحفاظ والمحدثين خلق كثير، منهم الإمام مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) تهذيب الكمال (١٩/ ٩٦).

٤. أنَّ المؤمن يجب عليه أن يحب المؤمنين ويواليهم، وأعظم المؤمنين حقًا في ذلك وأولاهم هم الصحابة عليهم رضوان الله.

٥. أنَّ محبتهم من محبة الله تعالى ورسوله ﷺ؛ وذلك لأن محبتهم دين وإيمان، وقد ثبت في الكتاب والسنة أنَّ محبتهم من محبة الله ورسوله ﷺ.

فأهل السنة والجماعة هم الذين أنزلوا الصحابة ⁒ منزلتهم فأحبوهم وترضوا عليهم ولم يرفعوهم فوق قدرهم، ولم ينقصوهم ويهضموهم حقهم، بل ما يزالون يترضون عليهم، ويمسكون ألسنتهم عما شجر بينهم، ولا يحملون في صدورهم على أحدٍ منهم، كثرت صحبته أو قلَّت؛ عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر: ١٠]. (١)

---

(١) **قال الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٢٠١)**: الْمُرَادُ بِالْأُخُوَّةِ هُنَا أُخُوَّةُ الدِّينِ، أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَلِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْ: غِشًّا وَبُغْضًا وَحَسَدًا. أَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْزِعَ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْغِلَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَيَدْخُلَ فِي ذَلِكَ الصَّحَابَةُ دُخُولًا أَوَّلِيًّا لِكَوْنِهِمْ أَشْرَفَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِكَوْنِ السِّيَاقِ فِيهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لِلصَّحَابَةِ عَلَى الْعُمُومِ وَيَطْلُبْ رِضْوَانَ اللَّهِ لَهُمْ فَقَدْ خَالَفَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ غِلًّا لَهُمْ فَقَدْ أَصَابَهُ نَزْغٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحَلَّ بِهِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ عِصْيَانِ اللَّهِ بِعَدَاوَةِ أَوْلِيَائِهِ وَخَيْرِ أُمَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْفَتَحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخِذْلَانِ يَفِدُ بِهِ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْ نَفْسَهُ باللجوء إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِ بِأَنْ يَنْزِعَ عَنْ قَلْبِهِ مَا طَرَقَهُ مِنَ الْغِلِّ لِخَيْرِ الْقُرُونِ وَأَشْرَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ جَاوَزَ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْغِلِّ إِلَى شَتْمِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَقَدِ انْقَادَ لِلشَّيْطَانِ بِزِمَامٍ وَوَقَعَ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَسُخْطِهِ، وَهَذَا الدَّاءُ الْعُضَالُ إِنَّمَا يُصَابُ بِهِ مَنِ ابْتُلِيَ بِمُعَلِّمٍ مِنَ الرَّافِضَةِ، أَوْ

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسط بين طرفيها الإفراط والتفريط:

وسط بين المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى ما لا يليق إلا بالله أو برسله وبين المفرِّطين الجافين الذين ينقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الغلاة والجفاة يحبونهم جميعًا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون؛ إما مصيبون فلهم أجر الاجتهاد والإصابة وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، وليسوا معصومين بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ولهم من الله المغفرة والرضوان، وكتب أهل السنة مملوء ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق هؤلاء الصفوة المختارة من البشر لصحبة خير البشر ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين. اهـ[1]

صَاحِبٍ مِنْ أَعْدَاءِ خَيْرِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ تَلَاعَبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْأَكَاذِيبَ الْمُخْتَلِفَةَ وَالْأَقَاصِيصَ الْمُفْتَرَاةَ وَالْخُرَافَاتِ الْمَوْضُوعَةَ، وَصَرَفَهُمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنْقُولَةِ إِلَيْنَا بِرِوَايَاتِ الْأَئِمَّةِ الْأَكَابِرِ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الْعُصُورِ، فَاشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وَاسْتَبْدَلُوا الْخُسْرَانَ الْعَظِيمَ بِالرِّبْحِ الوافر، وما زَالَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ يَنْقُلُهُمْ مِنْ مَنْزِلَةٍ إِلَى مَنْزِلَةٍ، وَمِنْ رُتْبَةٍ إِلَى رُتْبَةٍ، حَتَّى صَارُوا أَعْدَاءَ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَخَيْرِ أُمَّتِهِ، وَصَالِحِي عِبَادِهِ، وَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَهْمَلُوا فَرَائِضَ اللَّهِ، وَهَجَرُوا شَعَائِرَ الدِّينِ، وَسَعَوْا فِي كَيْدِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ كُلَّ السَّعْيِ، وَرَمَوُا الدِّينَ وَأَهْلَهُ بِكُلِّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ. اهـ

(١) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للعلامة العباد (ص: ١٣).

قوله: "وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ":

بيَّن في شطر هذا البيت أنَّه يتوسل ويتقرب إلى الله بحب آل البيت، لا بالتعلق بأشخاصهم، ولا بالتبرك بأجسامهم، ولا بسؤالهم شيئًا من دون الله، ولا بالاستغاثة بهم؛ كما يفعل كثير من المشركين في هذا العصر، وإنما نتوسل إلى الله بمحبتهم، ومحبة كل مسلم صالح؛ لأنَّ هذا من الأعمال الصالحة.

قوله: "وَمَوَدَّةُ القُرْبَى": المقصود بالمودة المحبة.(١)

والمقصود بالقربى آل بيت النبي ﷺ، وآل النبي ﷺ هم الذين حَرُمت عليهم الصدقة؛ وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ وبناته.

ومحبة آل بيت النبي ﷺ واجبة بنص الكتاب والسنة، فإنَّ كلَّ آيةٍ وردت في إجلال النبي ﷺ وتوقيره تدل على إجلال أهل بيته الصالحين وتوقيرهم، فإنَّ آل الرجل تبعٌ له، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

وفي صحيح مسلم قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ

(١) المودَّةُ: مَفعَلة من الوُدُّ، والوُدُّ والوِدادُ: الحُبُّ. القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٤١٤)، الاشتقاق لابن دريد (ص: ٣٦)

فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٣].

فيجب علينا مودَّتهم، ومحبتهم؛ إكرامًا لنبيه محمَّد ﷺ وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى: ٢٣].

وقد وردت الأحاديث التي تدل على وجوب محبة آل بيت النبي ﷺ وحفظ حقوقهم، ومن ذلك. ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: " **أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ** "فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**﴾ الحديث. (١)

قال القرطبي في المفهم (٢٠/ ٥١):

هذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي: وجوب احترام آل النبي ﷺ وأهل بيته، وإبرارهم، وتوقيرهم، ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها. هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ. وبأنَّهم جزء منه، فإنَّهم أصوله التي نشأ منها، وفروعه التي تنشأ عنه، كما قال ﷺ: "**فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها**". اهـ

---

(١) قَالَ الطِّيبِيُّ: لَعَلَّ السِّرَّ فِي هَذِهِ التَّوْصِيَةِ وَاقْتِرَانَ الْعِتْرَةِ بِالْقُرْآنِ أَنَّ إِيجَابَ مَحَبَّتِهِمْ لَائِحٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فَإِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ شُكْرَ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ بِالْقُرْآنِ مَنُوطًا بِمَحَبَّتِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْحَصْرِ. اهـ انظر تحفة الأحوذي (١٠/ ١٧٨).

وروى البخاري في صحيحه عن أبي بكر ﷺ أنه قال: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي**".

وروى البخاري أيضًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، قَالَ: "**ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ**".

قال ابن الجوزي في كشف المشكل (ص: ١٧): المعنى: راقبوه وراعوه واحفظوه فيهم، وذلك يكون بحبهم وتوقيرهم ومراعاة حقوقهم، قال الزجاج: وأهل بيته الرجال الذين هم آله ونساؤه. اهـ

وذلك لأنَّ محبة آل بيت النبي ﷺ دليل على محبته ﷺ.

ومِن الأدلة كذلك على وجوب محبتهم دخولهم تبعًا للنبي ﷺ في الصلاة عليه.

ولا تصح صلاة عبدٍ حتى يقرأ الصلاة الإبراهيمية على قول من قال بوجوبها في الصلاة.

وقد نص أهل العلم على أن من عقيدة أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت وتعظيمهم من غير غلو.

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة:

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ. اهـ

والذين ضلوا في أهل البيت طائفتان:

الأولى: الروافض حيث غلوا فيهم وأنزلوهم فوق منزلتهم حتى ادعى بعضهم أنَّ عليًا إله- والعياذ بالله-. **الثانية**: النواصب وهم الخوارج الذين نصبوا العداوة لآل البيت وآذوهم بالقول وبالفعل.[١]

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- فتاوى العقيدة ٤/٣٠٧.

وقوله: "بِهَا أَتَوَسّلُ":

التوسل: هو التقرب إلى الله تعالى بما يحب من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، وسؤاله تعالى بأسمائه وصفاته وبفضله وكرمه. (١)

---

(١) **التوسل نوعان مشروع وممنوع:**

فالمشروع منه على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وقال سبحانه ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

النوع الثاني: التوسل بالعمل الصالح، والتوسل بالعمل الصالح عليه أدلته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك قول الله سبحانه عن أهل الإيمان أنهم قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣].

وفي ذلك حديث ابن عمر ﷺ في الصحيحين في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم.

النوع الثالث: التوسل بدعاء العبد الصالح، ومِن ذلك ما رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

فالمراد التوسل إلى الله بدعاء العباس، لا بذات النبي ﷺ فلو كان المراد التوسل بذاته ﷺ لتوسلوا بذاته بعد موته، إذ أن شرفه ﷺ وفضله ثابت له حياً وميتاً.

وأما التوسل الممنوع فنوعان:

النوع الأول: التوسل البدعي: وهو التوسل بذوات الأنبياء والصالحين. والدليل على أنه بدعة، أن التوسل عبادة، والعبادة توقيفية لا يجوز فيها الإحداث.

وقول الناظم: "بِهَا أَتَوَسّلُ":

هذا من باب التوسل إلى الله بالعمل الصالح، أي أنَّه يتوسل ويتقرب إلى الله بمحبته لآل بيت النبي ﷺ، ويعدُّها من أرجى أعماله التي يدعو الله بها في ملماته وكرباته، لاسيما وقد وجِد من يطعن في آل بيت النبي ﷺ طعنا شديدًا ويقدح فيهم.

فلا غَرْوَ[1] أن نتقرب إلى الله بحبِّ آل بيت النبي ﷺ، وكذا بحبِّ أصحابه ﷺ، ونتوسل إليه سبحانه وتعالى بهذه المحبة فإنَّها مِن أرجى أعمالنا الصالحة التي نرجو برها وذخرها عند الله.

فتبين من هذا أنَّه لا وجه للانتقاد لمن انتقد على شيخ الإسلام شطر هذا البيت، فشيخ الإسلام معروف بذكر محبته لأهل البيت فكتبه طافحة بذلك، ومنها ما سبق ذكره.

النوع الثاني: التوسل الشركي: وهو التوسل بتوجيه العبادات لغير الله كالدعاء والذبح والنذور...، ثم يقولون نفعل هذا ليشفعوا لنا عند الله، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر: ٣]،. وقال سبحانه عنهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس: ١٨].

(١) لا غَرْوَ أيْ: لا عَجَبَ.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ علا وَفَضائلٌ لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَل

في هذ البيت يتكلم الناظم عن تفاوت الصحابة في القدر والمنزلة، فالصحابة كلُّهم فاضلون، وكلُّهم عدول، وكلُّهم تجب محبتهم، وكلُّهم يجب اعتقاد عدالتهم، ويجب اعتقاد أنهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، إلا أنَّ لكلٍ منهم قدره ومنزلته، فهم يتفاوتون في ذلك بنص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قوله: "وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ علا وَفَضائلٌ": الفضائل: جمع فضيلة، وهي: الصفة والميزة العالية والمكانة والدرجة الرفيعة.

قوله: "لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَل": يبين الناظم أنَّ هناك تفاضلاً بينه الصحابة رضوان الله عليهم.

ومما يدل على هذا التفاضل والتفاوت في القدر قول الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحديد: ١٠]

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٣):

قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء. اهـ

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

فتخصيص السابقين الأولين بالذكر في الآية يدل على أفضليتهم.

وغير ذلك من الأدلة.

وخلاصة مذْهَب أهْل السُّنة والجماعة في المفاضَلة بين الصحابة بعد الاعتراف بفضْل الجميع:

أنَّ أفضل الصحابة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقيَّة العشرة المشهود لهم بالجنة، ثم أهْل بدر، ثم أهْل بيعة الرضوان، ثم بقيَّة الصحابة ممن أسْلَم قبل الفتْح، ثم مَن أسلمَ من بعد الفتْح وقَاتَل. (١)

---

(١) قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية (ص: ٢٦): وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ ـ وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ). وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَة. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ـ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ:

قوله: "لكِنَّما الصِّديقُ": **الصِّديقُ** هو الدائم التصديق، ويكون في الذي يُصدِّق قوله بالعمل، فهذا يُسمَّى صديقًا، وورد في القرآن: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [سورة المائدة: ٧٥]، أي: مبالغة في الصدق.

وتلقيب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصديق أمر ثابت بالأحاديث الصحيحة، وهو أمرٌ مجمع عليه بين أهل العلم.

ومِن تلك الأحاديث: ما رواه البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: "**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**".

وقد نقل الإجماع على ذلك غيرُ واحد من أهل العلم، كالسيوطي في تاريخ الخلفاء، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، والصالحي في سبل الهدى والرشاد، والنووي في تهذيب الأسماء.

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١٨١/٢): وأجمعت الأئمة على تسميته صديقًا. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الله تعالى هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صديقًا، وسبب تسميته أنَّه بادر إلى تصديق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولازم الصدق، فلم يقع منه هنَاةٌ[1] ولا وقفة في حال من الأحوال. اهـ.

وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. اهـ

[1] قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٢٧٩): الهَنَاةُ الشُّرُورُ والفساد. يقال: فِي فُلَانٍ هَنَاتٌ. أَيْ خِصَالُ شَرٍّ، وَلَا يُقَالُ فِي الخَيْرِ. اهـ

وقد ورد في سبب هذه التسمية حديث أخرجه الحاكم واللالكائي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِذَلِكَ فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَفُتِنُوا بِذَلِكَ عَنْ دِينِهِمْ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَقَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ؛ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوَاحَةٍ؛ فَسُمِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ. (١)

قوله: "مِنْهُمْ أَفْضَلُ": أفضل أفعل تفضيل؛ وهي صيغة تدل على أنَّ شيئين اشتركا في صفة، وزاد واحد على الآخر فيها.

فالصدِّيق رضي الله عنه تميَّز عن سائر الصحابة بفضائل وخصائص جعلته أفضل الصحابة على الإطلاق، **فله رضي الله عنه فضائل وخصائص لم يشركه فيها أحد ومنها:**

قوله ﷺ: **"إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ"** رواه مسلم عن أبي سعيد.

فهذا الحديث فيه ثلاث خصائص لم يشرك أبا بكر فيها غيره:

الأول: قوله ﷺ: **"إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ"** بيّن فيه أنه ليس لأحد من الصحابة عليه من حق في صحبته وماله مثل ما لأبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٠٦).

الثاني: قوله: "**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً**" فإنَّه نص أنَّه لا أحد من البشر يستحق الخلة لو كانت ممكنة إلا أبو بكر، ولو كان غيره أفضل منه لكان أحق بالخلة لو كانت واقعة.

الثالث: قوله: "**لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**"، وهذا تخصيصٌ له دون سائر الصحابة.

ومن ذلك أمرُه ﷺ لأبي بكر أن يُصَلِّي بالناس مدة مرضه وهذا من خصائصه التي لم يشركه فيها أحد، ولم يأمر النبي ﷺ أمته أن تصلي خلف أحد في حياته بحضرته إلا خلف أبي بكر.

ومن ذلك تأميره له من المدينة على الحج ليقيم السُّنَّة ويمحو أثر الجاهلية، فإنَّ هذا من خصائصه.

ومن ذلك قوله ﷺ لعائشة فِي مَرَضِهِ ﴿**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**﴾. رواه مسلم.

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة تُبيِّن أنه لم يكن في الصحابة من يساويه.[1]

---

(١) ذكرها شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤/ ٤١٥)، وانظر إقامة الدليل على إبطال التحليل (٤/ ٣٥٠)، وصحيح مسلم (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

قال الناظم رحمه الله:

وَأَقُولُ فِي" القُرْآنِ "مَا جَاءَتْ بِهِ آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ

بيَّن الناظم في هذا البيت معتقده في القرآن، وأنَّه لا يُخالف ما جاءت به الآيات في كتاب الله مِن أنَّه كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، فالقرآن كلام الله سبحانه وتعالى، والكلام من صفات الله عز وجل.

والمنهج الواجب في باب الأسماء والصفات هو أن لا نثبت لله شيئاً من الأسماء، ولا نثبت لله شيئاً من الصفات إلا بنصٍ من كتاب الله أو سنةِ رسوله ﷺ، ونثبتها كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ.

قوله: "وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ": **القرآن** هو المقروء المكتوب في المصاحف، وأصله من القَرء، وهو: الجمع والضم، وكلُّ شَيْءٍ جَمعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه. وسُمِّيَ القُرآن قُرْآناً لِأَنَّهُ جَمع القِصَص، والأمْر وَالنَّهْيَ، والوْعد وَالْوَعِيدَ، والآياتِ والسُّوَر بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ. (١)

قوله: "مَا جَاءَتْ بِهِ آياتُهُ": أي أقول بكل ما جاء في آيات القرآن مما وُصِفَ به هذا الكتاب العظيم.

فمما جاء في آيات الكتاب: أنَّ القرآن كلام الله، تكلم به ربنا حقيقة لقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤ /٣٠).

قال الشنقيطي رحمه الله: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ هو هذا القرآن العظيم. وهذه الآية الكريمة من سورة براءة نصٌّ صريحٌ في أنَّ هذا الذي نقرؤه ونتلوه هو بعينه كلامُ الله، فالصوت صوت القارئ، والكلام كلام البارئ؛ فهذا المحفوظ في الصدور، المقروء في الألسنة، المكتوب في المصاحف، هو كلام الله (جَلّ وعلا) بمعانيه وألفاظه. اهـ(١)

ومِن ذلك أنَّه تَكَلَّمَ به الله عز وجل حقيقة بحرف وصوت، والأدلة في إثبات ذلك متكاثرة.

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

قال العلامة العثيمين: من فوائد الآية: إثبات القول لله عزّ وجلّ، وأنه بحرف، وصوت؛ وهذا مذهب السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأئمة الهدى من بعدهم؛ يؤخذ كونه بحرف من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾؛ لأن هذه حروف؛ ويؤخذ كونه بصوت من أنه خاطب الملائكة بما يسمعونه؛ وإثبات القول لله على هذا الوجه من كماله سبحانه وتعالى؛ بل هو من أعظم صفات الكمال: أن يكون عزّ وجلّ متكلماً بما شاء كوناً، وشرعاً؛ متى شاء؛ وكيف شاء؛ فكل ما يحدث في الكون فهو كائن بكلمة ﴿كُن﴾؛ لقوله

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٥/ ٢٨٠).

تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢]؛ وكل الكون مراد له قدراً؛ وأما قوله الشرعي: فهو وحيه الذي أوحاه إلى رسله، وأنبيائه. اهـ[١]

ومن ذلك ما ذكره الناظم بقوله: "فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ":

فالكريم كما قال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [سورة الواقعة: ٧٧].

قال العلامة السعدي ¬: أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنَّما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه. اهـ

و "الْمُنزَلُ": أي أنَّ هذا القرآن الكريم منزل من الله سبحانه وتعالى.

ولفظ "النزول" في القرآن الكريم، على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا.

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء.

النوع الثالث: نزول مطلق غير مقيد بهذا أو بذاك.

فالمراد بقوله "الْمُنزَلُ" هو النوع الأول وهو المقيد بأنَّه من عند الله تعالى، وهذا مختصٌ بالقرآن الكريم فلم يرِدْ إلا معه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [سورة النحل: ١٠٢]. وقوله سبحانه: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [سورة السجدة: ٢].

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ٧٦)

وهذا التنصيص بأنَّه من الله جل وعلا وتخصيص القرآن بذلك له دلائله:

ففيه بيان أنَّه منزل من الله لا من مخلوق من مخلوقات الله، كما تقول بذلك بعض الطوائف.

وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن، وبطلان القول بأنَّه فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام والفلسفة.(١)

يقول شيخ الإسلام مستدلاً بصريح الآيات السابقة: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما". اهـ(٢)

فائدة:

جاء في بعض نسخ اللامية فهو القديم المنزل، وهذا مخالف لما يعتقده شيخ الإسلام، والأصح والأليق بعقيدة شيخ الإسلام ما أثبتناه، ومما يدل على ذلك إنكاره إطلاق لفظ القديم على القرآن، **فقال كما في كتابه التسعينية (ص١٤٣):** " الوجه الثاني: أنَّ أحدًا من السلف والأئمة لم يقل إنَّ القرآن قديم وأنَّه لا يتعلق بمشيئته وقدرته ". اهـ

---

(١) **وأما النوع الثاني** وهو النزول المقيد بأنه من السماء، فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول العذاب، ونزول الملائكة من عند الله، وغير ذلك.

وأما النوع الثالث وهو الإنزال المطلق فهو عام لا يختص بنوع خاص من الإنزال. من ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الحديد: ٢٥] فقد فسر قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا ﴾ بجعلنا، وأظهرنا وخلقنا.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٢/١٢٠)، (١٢/١١٨، ٢٤٦).

ولا بد من التفريق بين قول السلف: كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، **وبين قولهم** لا يجوز وصف القرآن بأنَّه قديم، وذلك لأنَّ القرآن مُحدَثٌ ليس بالقديم، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [سورة الأنبياء:٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [سورة الشعراء:٥].

فالقرآن مُحْدَث بمعنى حديث النزول من ربه جل وعلا، إنما تكلم الله به فسمعه جبريل فبلغه للنبي عليه الصلاة والسلام، وأما الذي يُقال إنَّه قديم هو كلام الله ليس القرآن، فكلام الله جل وعلا قديم النوع حادث الآحاد؛ ومعنى قديم النوع أنَّ الله لم يزل ولا يزال متكلماً، ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد أنَّ آحاد كلامه -أي الكلام المعين المخصوص- حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء، فكلامه سبحانه وتعالى قديم ولا يزال يتجدد كلامه بتجدد الأحوال، متعلِّقا بمشيئته سبحانه وتعالى وقدرته، وأمَّا القرآن فلا يجوز وصفه بأنَّه قديم. (١)

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٧٤)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للعلامة الفوزان (٢/ ٢٧٣)، التعليقات الحسان على الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٦٧) للشيخ صالح آل الشيخ.

قال الناظم:

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ وَ" الْمُصْطَفَى "الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

هذا البيت أبان فيه شيخ الإسلام منهج أهلِ السنة والجماعة في التعامل في باب أسماء الله وصفاته وأفعاله، ويسمى بتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها.

فقوله: "وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي":

هذا من الأسس التي يقوم عليها مذهب السلف في باب الأسماء والصفات: وهو أنَّ أسماء الله وصفاته توقيفية، ومعنى (**توقيفية**) أنَّ إثباتَ الأسماء والصفات موقوف على ما وردت به النصوص.

فأهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه بلا تمثيل ولا تكييف، وينزهونه سبحانه عن النقائص والعيوب تنزيهًا بلا نفي للصفات ولا تعطيل، ولا تحريف لألفاظها عن مدلولها الذي دلت عليه.

وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا بقوله: "وَلاَ أَتَأَوَّلُ".

قوله: "وَلاَ أَتَأَوَّلُ": والمراد بالتأويل المنفي هنا هو التحريف؛ وهو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن إلى معنى آخر يخالفه لغير دليل يقتضيه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ فإنَّ ظاهره أنَّ الله تعالى علا على العرش علوًّا خاصًّا يليق بالله عز وجل، وهذا هو المراد، فتأويله إلى أنَّ معناه استولى وملك، تأويل باطل مذموم، وتحريف للكلم عن مواضعه؛ لأنه ليس عليه دليل صحيح.[1]

وقوله: "وَلاَ أَتَأَوَّلُ": لعله اختار لفظ التأويل لمناسبته للقافية، وإلا فالأولى أن يُعبَّر عنه بلفظ التحريف، إذ أنَّ التأويل يأتي على عدة معانٍ، والذي أورده شيخ الإسلام في الواسطية هو نفي التحريف.

قال شيخ الإسلام وهو يتكلم عن كتابته للعقيدة الواسطية:

وَذَكَرْت فِي غَيْرِ هَذَا الْمَجْلِسِ: أَنِّي عَدَلْت عَنْ لَفْظِ التَّأْوِيلِ إلَى لَفْظِ التَّحْرِيفِ؛ لِأَنَّ التَّحْرِيفَ اسْمٌ جَاءَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ وَأَنَا تَحَرَّيْت فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ اتِّبَاعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَنَفَيْت مَا ذَمَّهُ اللَّهُ مِنْ التَّحْرِيفِ وَلَمْ أَذْكُرْ فِيهَا لَفْظَ التَّأْوِيلِ بِنَفْيٍ وَلَا إثْبَاتٍ؛ لِأَنَّهُ لَفْظٌ لَهُ عِدَّةُ مَعَانٍ كَمَا بَيَّنْته فِي مَوْضِعِهِ مِنْ الْقَوَاعِدِ. اهـ مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٥).

قلتُ: وهذا مما قد يؤيد قول من قال إنَّ هذ اللامية ليست لشيخ الإسلام.

---

(١) انظر تقريب التدمرية (ص: ٧٥).

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَمِيعُ "آيَاتِ الصِّفَاتِ" أُمِرُّهَا ... حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

المقصود بالصفات صفات الله عز وجل وهي على نوعين:

النوع الأول صفات ثبوتيه: وهي التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ، كالحياة والعلم والوجه والنزول والاستواء وغيرها من الصفات، وكلها صفات مدح وكمال، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وهذا النوع يجب إثباتها له سبحانه.

النوع الثاني صفات منفية: وهي التي نفاها الله عن نفسه، أو نفاها عنه رسوله ﷺ، كالموت، والنوم، والظلم، وكلها صفات نقص، والواجب في هذا النوع نفي النقص مع إثبات كمال الضد، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، فيجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه. (١)

قوله: "وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ": أي الآيات التي تثبت الصفات لله سبحانه وتعالى.

قوله: "أُمِرُّهَا حَقّاً": أي أثبتها لله حقيقةً كما أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، من غير تعرض لكيفيتها، وهذا هو مذهب السلف أجمع. (٢)

---

(١) انظر مذكرة على العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ١٠)

(٢) إمرار الصفة على حقيقتها يرتكز على ثلاثة أركان:

الأول: إثبات الصفات باسمها من غير تشبيه.

فَلَا يُعَامِلُهَا بِالنَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ وَلَا يَتَعَدَّى بِهَا اسْمَهَا الْخَاصَّ الَّذِي سَمَّاهَا اللَّهُ بِهِ، بَلْ يَحْتَرِمُ الِاسْمَ كَمَا يَحْتَرِمُ الصِّفَةَ، فَلَا يُعَطِّلُ الصِّفَةَ، وَلَا يُغَيِّرُ اسْمَهَا وَيُعِيرُهَا اسْمًا آخَرَ، كَمَا تُسَمِّي الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعَطِّلَةُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ،

قال شيخ الإسلام في الحموية (ص: ٢٩٩):

روى أبو بكر الخلال في "كتاب السنة" عن الأوزاعي قال: "سُئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالا: أَمِرُّوها كما جاءت".

ورُوي أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: "سألتُ مالكَ بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت. وفي رواية: فقالوا: أمِرَّها كما جاءت بلا كيف".

وَقُدْرَتَهُ وَحَيَاتَهُ، وَكَلَامَهُ: أَعْرَاضًا، وَيُسَمُّونَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَهُ – سُبْحَانَهُ –: جَوَارِحَ وَأَبْعَاضًا، وَيُسَمُّونَ حِكْمَتَهُ وَغَايَةَ فِعْلِهِ الْمَطْلُوبَةَ: عِلَلًا وَأَغْرَاضًا، وَيُسَمُّونَ أَفْعَالَهُ الْقَائِمَةَ بِهِ: حَوَادِثَ، وَيُسَمُّونَ عُلُوَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ، تَحَيُّزًا، وَيَتَوَاصَوْنَ بِهَذَا الْمَكْرِ الْكُبَّارِ إِلَى نَفْيِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، وَآثَارُ الصَّنْعَةِ مِنْ صِفَاتِهِ، فَيَسْطُونَ – بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ – عَلَى نَفْيِ صِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ أَسْمَائِهِ.

الثاني: نفي التشبيه عنها من غير تعطيل.

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، فَالْعَارِفُونَ بِهِ، الْمُصَدِّقُونَ لِرُسُلِهِ، الْمُقِرُّونَ بِكَمَالِهِ: يُثْبِتُونَ لَهُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مُشَابَهَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَبَيْنَ التَّنْزِيهِ وَعَدَمِ التَّعْطِيلِ، فَمَذْهَبُهُمْ حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَصِرَاطُهُمْ صِرَاطُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، وَصِرَاطُ غَيْرِهِمْ صِرَاطُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ.

الثالث: اليأس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها.

فإِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَئِسَ مِنْ تَعَرُّفِ كُنْهِ الصِّفَةِ وَكَيْفِيَّتِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ بِلَا كَيْفٍ أَيْ بِلَا كَيْفٍ يَعْقِلُهُ الْبَشَرُ، فَإِنَّ مَنْ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ وَمَاهِيَّتُهُ، كَيْفَ تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ؟ انظر مدارج السالكين (٣/ ٣٣٤).

فقولهم – رحمهم الله –: "**أَمِرُّوها كما جاءت**" ردٌّ على المعطلة، وقولهم: "**بلا كيف**" رد على الممثلة. والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين. اهـ.

فمعنى قوله: "**أُمِرُّهَا حَقّاً**": أي أثبتها ونفسي منشرحة بذلك بدون حرجٍ، ولا أتعنى في البحث عن كيفيتها، **ولهذا قال**: "**حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ**".

قوله: "**الطِّرَازُ**": الجيد من كل شيء. (١)

و" **الأَوَّلُ**": المتقدم والسابق.

والمقصود بالبيت أنَّه يسير في باب الأسماء والصفات، كما سار من تقدم مِن سلفنا الصالح.

وطريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات أنهم يجعلون إمامَهم الكتاب والسنة؛ نفيًا وإثباتًا، فما ثبت أثبتوه ولم يكن في أنفسهم حرجٌ من ذلك.

قال شيخ الإسلام:

"ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب اتباعه، فيثبتون ما أثبته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله". اهـ (٢)

والإيمان بالصفات أمر واجب لا يتم إيمان العبد إلا به وبمعرفته.

---

(١) المعجم الوسيط. (٢/ ٥٥٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٧٦).

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ٣٢٤):

لَا يَسْتَقِرُّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ - بَلْ وَلَا فِي الْإِيمَانِ - حَتَّى يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيَعْرِفَهَا مَعْرِفَةً تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْجَهْلِ بِرَبِّهِ، فَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ وَتَعَرُّفُهَا: هُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ، وَثَمَرَةُ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ، فَمَنْ جَحَدَ الصِّفَاتِ فَقَدْ هَدَمَ أَسَاسَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَثَمَرَةَ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ. اهـ

قال الناظم رحمه الله:

وأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَى نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

يريد شيخ الإسلام من هذا البيت أن يبين للمخالفين في باب الصفات أنَّ الذين نقلوا لنا هذه الأخبار عن الصفات وعن إثباتها هم خير القرون، وأفضلها، وهم الصحابة الذين نقلوا ذلك عن رسول الله ﷺ، ونحن نردُّ عهدة هذا النقل عليهم، فسلفنا الصالح آمنوا بهذه الصفات وأثبتوها ولم يخوضوا في الكلام على كيفيتها، ونحن سائرون على ما ساروا عليه، من غير أن نكيف هذه الصفات، أو نتخيل كنهها.

ومن سار على ما سار عليه السلف الصالح فهو في أمانٍ من الزيغ، وضمانٍ من الضلال.

قال الله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقال ﷺ: "**أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**". رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال ﷺ: "**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**". متفق عليه عن ابن مسعود.

وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ ﷺ، وَالْمُرَادُ **بِقَرْنِهِ** ﷺ الصَّحَابَةُ **وَالثَّانِي** التَّابِعُونَ **وَالثَّالِثُ** تَابِعُوهُمْ. (١)

فلا يضلُّ بإذن الله من كان سائرًا على ما سار عليه سلفه الصالح في هذه القرون المفضلة، بل هو في أمانٍ وضمانٍ.

قوله: "وَأَرُدُّ عُهْدَتَها إلى نُقّالِهَا":

العُهْدَةُ: الضمان والكفالة، يقال عُهْدَتُه على فلان أَي ما أُدْرِك فيه من دَرَكٍ فإِصلاحه عليه، أي ضمانه عليه. (٢)

والنُّقَّال: هم أهل العلم الذين نَقَلُوا هذه الأحاديث من لدن الصحابة – رضي الله عنهم – ثم التابعين ومن جاء بعدهم، الذين حملوا هذا الدين صافيًا نقيًا، خاليًا مِن كل ما يشُوبه.

فقوله: "وَأَرُدُّ عُهْدَتَها إلى نُقّالِهَا": المراد بالذي تُرَدُّ العهدة فيه إلى النُّقَّال هو باب الصفات فلا يُتَكَلَّم في شيء من هذا الباب إلا بوحي.

فإذا ثبتت هذه الأخبار في إثبات الصفات من الطرق الصحيحة وجب اعتقادها، واعتقاد ما تضمنته، كما هو حال سلفنا من صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم، فهم أفصح العرب وعليهم أُنزل القرآن فما جادلوا في صفات الله ولا تأولوها، ولا أنكروها.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٨٤).

(٢) لسان العرب (٣/ ٣١١).

بل كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيسمع النبي ﷺ يتكلم عن صفة من صفات الله، فلا يدور في خلَدِه شيء مما وقوع في نفوس أهل البدع ممن أنكر الصفات، أو حرفها عن معناها الصحيح.

فقد روى أحمد وابن ماجه وغيرهما عَنْ أَبِي رَزِينٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**ضَحِكَ اللهُ تَعَالَى مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**"، فَقَالَ أَبُو رَزِينٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: "**نَعَمْ**"، قَالَ: لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا. (١)

فلا أنكر ولا جادل ولا سأل عن كيفية الضحك للرب عز وجل، وإنما قال: أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: "**نَعَمْ**"، قَالَ: لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا.

قوله: "وأَصُونُها":

الصيانة: هي الحفظ والاحتراز والتَوَقِّي، فقوله "**أصونها**": أي أحفظها وأقيها وأحرزها عن كل ما يتخيل.

وقوله: "عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ": أي عن كل ما يدور في الخيال مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، وهذا يتضمن نفي أمرين: نفي **التمثيل**، ونفي **التكييف**.

والفرق بينهما أنَّ **التمثيل**: يكون باعتقاد أنَّ صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقين، **والتكييف**: اعتقاد أنَّ صفات الله تعالى على كيفية كذا وكذا، وإن لم تكن كصفة المخلوق.

والمراد من نفي التكييف، هو نفي عِلمِنا بالكيفية، لا أننَّا ننفي الكيف مطلقا؛ فإنَّ كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنَّ أهل السنة ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠).

يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه، قال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١]. (١)

(١) انظر شرح الواسطية للهراس (ص: ٣٧)

قال الناظم رحمه الله:

قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ" القُرَانَ "وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ" الأَخْطَلُ "

قوله: "قبحًا": أي قبحه الله، وَقَبَّحَ اللهُ فلاناً أبعده من كلِّ خير، وجعله قبيحًا فهو مقبوح، كقُبُوحِ الكَلْبِ والخنْزير، قال الله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾: أي المبَعدينَ عن كلِّ خَيْر. وعن ابن عبّاس f: أي من ذَوِي صُوَرٍ قبِيحةٍ. (فهو مَقْبُوحٌ). وقال ابن سِيدَه: المقبوح: الذي يُرَدُّ ويَخسأُ. (١)

وأي قُبحٍ أشد ممن نبذَ كتاب الله تبارك وتعالى وراء ظهره.

قوله: "لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ":

نبَذ الشّيءَ: طرَحه وألقاه، وتركه وهجره.

فَالنَّبْذُ طرحك الشيء من يدك أَمامك أَو وراءك، نَبَذْتُ الشيء أَنْبِذُه نَبْذاً إِذا أَلقيتَه من يدك، ونبذت الشيء أَيضاً إِذا رميته وأَبعدته. (٢)

قال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة البقرة: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

---

(١) انظر لسان العرب (٢/ ٥٥٢). تاج العروس (٧/ ٣٥).

(٢) لسان العرب (٣/ ٥١١).

فقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي رموا به خلف ظهورهم ورفضوه ولم يبالوا به، وذلك كناية عن إعراضهم الشديد عنه، وتوليهم عن تعاليمه.

تقول العرب: جعل هذا الأمر وراء ظهره، أي أهمله وتولى عنه معرضاً، لأنَّ ما يجعل وراء الظهر لا ينظر إليه.

والمقصود بقوله: "نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ":

أي ترك الاستدلال في باب الصفات بالكتاب والسنة وذهب يلتمس قولًا لنصراني.

وليس المراد بنبذ الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برُمَّتِه، وتركوا التصديق به في جملته وتفصيله، وإنما المراد أنهم طرحوا أجزاء منه.

وقد يكون النبذ غير مباشر كأن يُحرِّف المعنى الذي دل عليه الكتاب والسنة على ما تقدم بيانه.

قوله: "وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ ":

الأخطل هو الشاعر النَّصْرَانيّ: غياث بن غوث التَّغْلِبي ت (٩٠ هـ). (١)

وشيخ الإسلام هنا يُشنِّع على من ترك الاستدلال بـ" القرآن الكريم "، ويستدل بالبيت المنسوب للأخطل، وأهل البدع ممن ضلَّ في هذا الباب يستدلون بقول الأخطل في موضعين:

الأول: أنَّ كلام الله نفساني:

---

(١) سُمِّي بالأخطل، لأنه تعرض لكعب بن جعيل الشَّاعِر، فأقبل إليه، فقال أبو الأخطل لكعب بن جعيل: إنه غلام خَطَل، فسمي الأخطل، وقيل لقب الأخطل لبذاءته وسلاطة لسانه، والخطل هو المنطق الفاسد المضطرب. انظر: مختار الصحاح: ص ١٤١.

واستدلوا بقول الأخطل:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا

فقوله: (إن الكلام لفي الفؤاد) أي: الكلام الحقيقي هو في النفس (وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً) أي أن اللسان هو دليل على كلام في القلب، وإنَّ الكلام الحقيقي هو الذي في القلب والنفس، وهذا الكلام باطل لا شك فيه. (١)

---

(١) والرد على استدلالهم من وجوه:

الأول: أنه لو احتج محتج عليهم في مسألة بحديث أخرجاه في " الصحيحين " عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا: هذا خبر واحد ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلا عن مسمى الكلام.

الثاني: أن مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل. وأيضا فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها لا بما يذكرونه من الحدود، فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى " الكلام "؛ وإنما أراد: -إن كان قال ذلك- ما فسره به المفسرون للشعر أي أصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى؛ فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به؛ وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ ولهذا قال: لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أَثِيرٍ لَفْظُهُ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلَا... إنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا.

الثالث: يقال لهم كيف يستدل في مسألة تتعلق بالله جلا وعلا، وكلام النصارى في الكلام معروف وضلالهم فيه معروف، فالنصارى قد أخطئوا في مسمى الكلام فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله.

الرابع: أن من الناس من أنكر أن يكون هذا من شعر الأخطل. وقالوا: إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه، وهذا يروى عن محمد بن الخشاب. وقال بعضهم: لفظه: إن البيان لفي الفؤاد.

والثاني: أنَّ الاستواء بمعنى الاستيلاء، فقالوا في قول الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥].

أي: استولى، واستدلوا على هذا التفسير الخاطئ بقول الأخطل النصراني[(١)]:

قد استوى بِشرٌ على العراق من غير سيف أو دم مِهراق

ولو أنَّه ثبتت نسبته إلى الأخطل فمثل هذا لا يُقبل من ألف ثقة فضلا عن شاعرٍ، فضلا عن كافر نصراني. انظر مجموع الفتاوى (٧/ ١٣٨).

(١) والرد على استدلالهم من وجوه أيضًا:

الأول: أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ مُحَرَّفٌ وَإِنَّمَا هُوَ هَكَذَا: بِشْرٌ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْعِرَاقِ.

الثاني: أنَّه لو احتجَّ أحدٌ بحديثِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم لاحتاجَ إلى بيان صِحَّتِهِ، فكيفَ ببيتٍ منَ الشِّعرِ لا يُعْرَفُ إسنادُهُ؟! وقدْ طعنَ فيه أئمةُ اللُّغةِ، وقد سُئِلَ الخليلُ: هلْ وجدتَ في اللُّغةِ استوى بمعنى: استولى؟ فقالَ: هذا ما لا تعرفُهُ العربُ، ولا هو جائزٌ في لغتِها.

الثالث: أَنَّهُ لَوْ صَحَّ هَذَا الْبَيْتُ وَصَحَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّفٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ بَلْ هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الِاسْتِوَاءِ، فَإِنَّ بِشْرًا هَذَا كَانَ أَخَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَاسْتَوَى عَلَى سَرِيرِهَا كَمَا هِيَ عَادَةُ الْمُلُوكِ وَنُوَّابِهَا أَنْ يَجْلِسُوا فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُسْتَوِينَ عَلَيْهِ.

الرابع: أنَّه قد نقل الإجماع غير واحد على أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل، ومنهم أبو الحسن الأشعري في الإبانة.

الخامس: أَنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ. انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٣٧٦)

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْمُؤْمِنُونَ" يَرَوْنَ "حَقّاً رَبَّهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ" يَنْزِلُ

الشطر الأول من البيت فيه الكلام على مسألة الرؤية.

والمقصود بالرؤية هي رؤية الله عز وجل في الآخرة.

ومسألة الرؤية من أخص الصفات التي حصل فيها النزاعُ، وقد دلت الأدلة من الكتابِ، والمتواتر من حديث النبي ﷺ، وإجماع السلف على أنَّ المؤمنين يرون ربهم عِيانًا بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صَحْوًا ليس دونها سحاب، في عرصات القيامة، وفي الجنة.

أولًا: الأدلة من كتاب الله:

١- قالَ الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣].

٢- وقالَ تَعَالَى ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦].

فسرت الزيادة في حديث صهيب في مسلم بالنظر إلى وجه الله.

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وهي الزيادة ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾**". رواه مسلم.

٣- قالَ الله تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [سورة المطففين: ١٥].

قال الشَّافعيُّ رحمه الله: "ما حُجِب الفجَّارُ إلا وقد عُلِم أنَّ الأبرار يَروْنه - عزَّ وجلَّ".

ثانيًا الأدلة من السنة:

الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، الدَّالَّةُ عَلَى الرُّؤْيَةِ مُتَوَاتِرَةٌ؛ رَوَاهَا أَصْحَابُ الصِّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ.

فَمِنْهَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟** " قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟** " قَالُوا: لَا، قَالَ: "**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**" الْحَدِيثَ، أَخْرَجَاهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" بِطُولِهِ.

وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَيْضًا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" نَظِيرُهُ.

وَحَدِيثُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: "**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**" الْحَدِيثَ، أَخْرَجَاهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

وَحَدِيثُ صُهَيْبٍ رضي الله عنه الْمُتَقَدِّمُ عِندَ ذِكْرِ الآيَاتِ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَحَدِيثُ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**". أَخْرَجَاهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

وَمِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه: "**وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ**". أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ".

قال الطحاوي بعد ذكر الأدلة السابقة: وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثَ الرُّؤْيَةِ نَحْوُ ثَلاَثِينَ صَحَابِيًّا، وَمَنْ أَحَاطَ بِهَا مَعْرِفَةً يَقْطَعُ بِأَنَّ الرَّسُولَ قَالَهَا، وَلَوْلَا أَنِّي الْتَزَمْتُ الاِخْتِصَارَ لَسُقْتُ مَا فِي الْبَابِ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

ثالثًا الإجماع:

قال العلامة ابن كثير عند الآية الأولى: وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام اهـ. (١)

وقال الإمام النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين... وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين. اهـ (٢)

قال الإمام عبد الغني المقدسي: وأجمع أهل الحق واتَّفق أهل التوحيد والصدق – أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله. اهـ (٣)

وقال ابن أبي العز الحنفي: وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة. اهـ (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٠)

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٣ /١٥).

(٣) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (٥٨).

(٤) شرح الطحاوي (١٥٣).

ومن أنكر رؤية الله في الآخرة كفر.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦ /٤٨٦): والذي عليه جمهور السلف أنَّ من جحد رؤية الله في الدار الآخرة، فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم ذلك، عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصرَّ على الجحود بعد بلوغ العلم له، فهو كافر. اهـ

وقال العلامة ابن باز رحمه الله: رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر، يراه المؤمنون يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع أهل السنة. اهـ[١]

فائدة: الرؤية لا تستلزم الإحاطة، لأن الإدراك هو الوقوف على كُنهِ الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، والله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار، قال سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]، فالمنفي هنا هو الإدراك والإحاطة وليس الرؤية، ونفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم.

فإنَّه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنَّه لو أراد نفي الرؤية، لقال "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم. [٢]

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٢٨ /٤١٢).

(٢) **قال ابن حبان رحمه الله في صحيحه:** (يُرى في القيامة ولا تُدركه الأبصار إذا رأته؛ لأن الإدراك هو الإحاطة والرؤية هي النظر، والله يُرى ولا يُدرَك كُنهه). اهـ

وقال أبو بكر الآجُرِّي رحمه الله: إن قال قائل: فما تأويل قوله عز وجل: ﴿لا تُدركه الأبصارُ﴾ قيل له: معناها عند أهل العلم: أي: لا تحيط به الأبصار، ولا تحويه عز وجل، وهم يرونه من غير إدراك ولا

قوله: "وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ"

هذا الشطر يثبت فيه شيخ الإسلام نزول الربِّ سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة أنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل نزولاً يليق بجلاله، وقد تواترت الأحاديث الدالة على ذلك.

ومنها الحديث المخرَّج في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"**.

وقد بلغ هذا الحديث حدَّ التواتر، فقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ نحوٌ من ثمانية عشر صحابيًّا، ذكرهم الإمام الدارقطني رحمه الله في مصنَّفه.

وقال اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣٤): سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى، رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً. اهـ

وقد اتفق السلف على إثبات صفة النزول لله تبارك وتعالى حقيقةً، كما يليق بجلاله، والإيمانِ بها، وإجرائها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها.

قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول (٥): واتَّفق سلف الأمَّة وأئمَّتها وأهل العلم بالسنَّة والحديث على تصديق ذلك وتلقِّيه بالقبول. اهـ

يشكُّون في رؤيته؛ كما يقول الرجل: "رأيت السماء"، وهو صادق، ولم يُحِط بصرُه بكل السماء، ولم يدركها. اهـ ((الشريعة للآجري)) (٢ /١٠٤٨)

وقوله: "بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ":

"يَنْزِلُ": أي نثبت النزول لله جل وعلا على الوجه اللائق بجلاله وكماله.

"بِغَيْرِ كَيْفٍ": أي بدون أن نحدد لهذا النزول كيفية.

فقد أخبرنا النبي ﷺ أنَّ الله تبارك وتعالى ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل، فلا سبيل إلى الخوض في معرفة كيفية صفاته، فالواجب قطع الطمع عن إدراكها ومعرفة كنهها.

وهو سبحانه مع نزوله حقيقة إلى السماء الدنيا فلا يخلو العرش منه ولا يكون العرش فوقه.

قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول (ص٢٣٢): المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه. اهـ

فإن قيل: إنَّ الليل يختلف بالنسبة إلى الناس، فيكون أوله ونصفه وثلثه بالمشرق، قبل أوله ونصفه وثلثه بالمغرب، قالوا: فلو كان النزول هو النزول المعروف، للزم أن ينزل في جميع أجزاء الليل؛ إذ لا يزال في الأرض ليل، قالوا: أو لا يزال نازلًا وصاعدًا، وهو جمع بين الضدين؟

قال شيخ الإسلام في رده على هذه الشبهة: هذا إنما قالوه لتخيُّلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم، وهذا عين التمثيل، ثم إنهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم، الذي لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه، وقد جاءت الأحاديث بأنه يحاسب خلقه يوم القيامة، كل منهم يراه مخليًا به، يتجلَّى ويُناجيه، لا يرى أنه متخليًا لغيره ولا مخاطبًا لغيره، وقد قال النبي ﷺ: "**إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي،**

وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى عليَّ عبدي"، فكل من الناس يُناجيه، والله تعالى يقول لكل منهم ذلك، ولا يشغله شأن عن شأن، وذلك كما قيل لابن عباس رضي الله عنه: كيف يحاسب الله تعالى الخلق في ساعة واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في ساعة واحدة... فهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ولا يحتاج أن ينزل على هؤلاء، ثم ينزل على هؤلاء؛ بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثًا عند هؤلاء، وفجرًا عند هؤلاء، يكون نزوله إلى سماء هؤلاء الدنيا، وصعوده عن سماء هؤلاء الدنيا. اهـ[1]

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٤)

قال الناظم:

وأُقِرُّ بالْمِيزَانِ والْحَوضِ الَّذِي أَرجُو بأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ

قوله: "وأُقِرُّ بالْمِيزَانِ": أي اعترَف به وأَثْبَتَهُ.

الميزانُ: هو الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة خيرها وشرها.

والميزان في الآخرة ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب: كقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧].

قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٤٥): أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. الأكثر على أنَّه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه. اهـ

وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وأما من السنة: فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**".

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**إنَّ اللَّهَ سيُخَلِّصُ رجلاً من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة فينشُرُ علَيهِ تسعةً وتسعينَ سجلاً، كلُّ سجلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ ثمَّ يقول: أتنكرُ مِن هذا شيئًا؟ أظلمَكَ كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يا ربِّ، فيقول: أفلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقول: بلى، إنَّ لك عندنا حسنة، وإنَّه لا ظُلم عليك اليوم، فيخرجُ بطاقة (صحيفة صغيرة) فيها أشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، فيقول: احضُر وزنَك، فيقول: يا ربِّ، ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلاَّت؟ فقال: فإنَّكَ لا تُظلَم، قال: فتوضَعُ السِّجلاَّت في كفَّةٍ، والبطاقة في كفَّةٍ فطاشتِ السِّجلاَّتُ وثقُلتِ البطاقة، ولا يثقلُ معَ اسمِ اللَّهِ شيء**" رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني.

وأما الإجماع: فقد قال الحافظ في الفتح (١٣/٥٤٨): قالَ أبو إسحاقَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ على الإيمانِ بالْمِيزَانِ، وأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ تُوزَنُ يومَ القيامَةِ. اهـ

ويجب الإيمان بالميزان بإجماع أهل العلم.

قالَ ابنُ بطَّة: وقدِ اتَّفَقَ أهلُ العِلْمِ بالأخبارِ والعُلَمَاءُ والزُّهَّادُ والعُبَّادُ في جميعِ الأمْصَارِ أنَّ الإيمانَ بذلكَ واجِبٌ لازِمٌ. اهـ[1]

ما الذي يوزن في هذا الميزان؟

قيل العمل وقيل العامل وقيل صحائف الأعمال.

(١) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري (ص: ٢٠٣)

قال الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول (٢/ ٢٢٠): والذي أستظهر من النصوص – والله أعلم – أنَّ العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي هي بيان القرآن قد وردت بكلٍّ من ذلك، ولا منافاة بينها. اهـ

قوله: "وَالْحَوضِ الَّذِي أَرجُو بِأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ"

قَوْلُهُ: **"وَالْحَوْض"**: اَلْمَقْصُودُ بِهِ حَوْضُ اَلنَّبِيِّ ﷺ الذِي يَسْقِي مِنْهُ أُمَّتَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ.

والحوض ثابت بنص أحاديث النبي ﷺ، وإجماع السلف.

فالأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في إثبات الحوض قد بلغت حدَّ التواتر، رواها عن النبي ﷺ ما يقارب الثمانين صحابيًا.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٦٩):

فَجَمِيعُ مَنْ ذَكَرَهُمْ عِيَاضٌ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ نَفْسًا وَزَادَ عَلَيْهِ النَّوَوِيُّ ثَلاَثَةً وَزِدْتُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ قَدْرَ مَا ذَكَرُوهُ سَوَاءً، فَزَادَتِ الْعِدَّةُ عَلَى الْخَمْسِينَ وَلِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَدِيثِ الْوَاحِد كَأبي هُرَيْرَة وَأنس وبن عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الْحَوْضِ وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا وَفِيمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا وَفِيمَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُصَنِّفُ فِي هَذَا الْبَابِ وَجُمْلَةُ طُرُقِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ طَرِيقًا وَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَصَلَهَا إِلَى رِوَايَةِ ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا

ومِن تلك الأحاديث حديث جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"أنا فَرَطُكم على الحوض"** متفق عليه.

وقد نقل غير واحد إجماع السلف على إثبات الحوض.

قال أبو العباس القرطبي: إجماع السلف، وأهل السنة من الخلف على إثبات الحوض. اهـ (١)

وقال السفاريني: والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال. اهـ (٢)

وأما من يرِدُ الحوض:

فإنَّه يرده المؤمنون بالله ورسوله ﷺ، المتبعون لشريعته، وأما من استنكف واستكبر عن ابتاع الشريعة؛ فإنَّه يُطرد منه.

فعن أمِّ سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **"إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا"**. رواه مسلم.

قال القرطبي في التذكرة (٣٧٣/١): فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٩٠.

(٢) شرح ثلاثيات المسند (١/ ٥٣٧).

الجور، والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. اهـ

قوله: "أَرجُو بِأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ":

الرجاء هو طمع العبد بأن يعطيه الله سبحانه وتعالى ما تمناه ورجاه.

ومن رجا شيئًا استلزم رجاؤه أمورًا ثلاثة: محبة ما يرجوه، خوفه من فواته، وسعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

فالرَّجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه، وقدَره، وثوابه وكرامته؛ فيأتي العبد بها، ثم يحسن ظنّه بربه، ويرجوه أن لا يكِلَه إليها، وأن يجعلها موصلةً إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها، ويبطل أثرها. (١)

فمن أراد أن يشرب من حوض النبي ﷺ فعليه بملازمة السبيل والطريق الذي يصل به إلى الفوز بهذا المقصود، ولا يكون ذلك إلا بالاعتصام بسنة النبي ﷺ، والثبات على طريقته وهديه وعدم مخالفة أمره ﷺ.

فإنَّ حوض النبي ﷺ **"مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا"**(٢)، كما صحت بذلك الأخبار عن نبينا ﷺ.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع (١/ ٨٧)

(٢) رواه البخاري (٦٥٨٣) ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل، وجاء عن غير واحدٍ من أصحاب النبي ﷺ.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمَ فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمِلُ

قوله: " الصِّراطُ ": هُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَالْمُؤْمِنُونَ يَنْجُونَ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَالْآخَرُونَ يَسْقُطُونَ فِيهَا. قاله النووي

قوله: " يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمَ ":

فإنَّ من معتقد أهل السنة في الصراط؛ أنَّه جسر يوضع على جنبتي جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط.

قوله: "فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمِلُ":

أي أنَّ الناس يتفاوت أمرهم ويختلف حالهم عند المرور على هذا الصراط وذلك باختلاف أعمالهم، وعلى قدر استقامتهم وطاعتهم لله في الدنيا.

وقد دلَّ على ذلك الأدلة المتكاثرة من الكتاب والسنة والإجماع.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة مريم: ٧١-٧٢].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩): وأمَّا الوُرودُ المذكورُ في قَولِه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ فقد فسَّرَه النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ الصَّحيحِ الذي أخرجه مُسلِمٌ في صَحيحِه عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"بأنَّه المرورُ على الصِّراطِ"**. اهـ[1]

---

(١) قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ،

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: "**ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: "**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**".

فدلَّ الحديث على أنَّهم ثَلاثةُ أقسامٍ: قِسمٌ مُسَلَّمٌ لا يَنالُه شَيءٌ أصلاً، وقِسمٌ يُخدَشُ ثُمَّ يَسلَمُ ويُخَلَّصُ، وقِسمٌ يَسقُطُ في جَهَنَّمَ.

وقد أجمَعَ أهلُ العِلمِ على ثُبوتِ الصِّراطِ وأنَّه جِسرٌ ممدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، وممن نقل الإجماع ابن القطان وأبو الحسن الأشعري والقاضي عياض وغيرهم.

قال ابن القطان في مسائل الإجماع (١/ ٥٢): وأجمعوا أن الصراط جسرٌ ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون بالإبطاء والسرعة على قدر ذلك. اهـ

وقال أبو الحَسَنِ الأشعَريُّ: أجمَعوا على أنَّ الصِّراطَ جِسرٌ مَمدودٌ على جَهَنَّمَ، يَجوزُ عليه العِبادُ بقَدرِ أعمالِهم، وأنَّهم يَتفاوَتونَ في السُّرعةِ والإبطاءِ على قَدرِ ذلك. اهـ

وَأَوَّلُ مَن يُجيزُ الصِّراطَ النَّبيُّ ﷺ ثُمَّ أمَّتُه: فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "**ويُضرَبُ الصِّرَاطُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فأكونُ أنا وأمَّتي أوَّلَ مَن يُجيزُها**". (١)

فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]. رواه مسلم

(١) أخرجه مطولًا البخاري (٧٤٣٧) واللَّفظُ له، ومسلم (١٨٢).

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَ"النَّارُ" يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى "الجِنَانِ" سَيَدْخُلُ

في هذا البيت إثبات لوجود الجنة والنار وأنَّهما معدتان، فالنار لمن عصى الله وكتب في الأشقياء، والجنة لمن أطاع الله وعبده وكتب في الأتقياء.

قوله: " والنَّارُ ": النَّارُ هي الدَّارُ الَّتي أعَدَّها اللهُ لِلكافِرين به المكَذِّبينَ لِرُسُلِه، ويدخلها بعض العصاة من أمة محمد ﷺ الذين لم يتوبوا من فعل المعاصي، وارتكاب المحرمات، ممن أراد الله دخولهم فيها، ولكنهم غير مخلدين فيها، وإنما يكون العذاب على قدر فعلهم، ثم يخرجهم الله منها.

وقد ذكرها الله في كتابه كثيرًا وأنذر عباده منها، وكذا أنذر النبي ﷺ أمته من النار.

قوله: "يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ": مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الليل: ١٤-١٦].

قال العلامة ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٢١):

قوله: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أي: لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى. ثم فسره فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ أي: بقلبه، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: عن العمل بجوارحه وأركانه. اهـ

والذين يدخلون النار على قسمين:

١. **قسمٌ يدخلها ويخلَّد فيها** ولا يخرج منها ولا يخفف عنهم عذابها، ولا يبيدون ولا يموتون؛ وهم الكفرةُ والمشركون والمنافقون، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾

[سورة فاطر: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٥].

٢. **قسمٌ يدخلها لكنَّه لا يخلد فيها**؛ وهؤلاء هم أهلُ التوحيد الذين لهم ذنوبٌ كثيرةٌ فاقت حسناتهم، فهؤلاء يدخلون النار إذا شاء ربنا تبارك وتعالى، ثم يخرجون بشفاعةِ الشافعين، ويُخرِج اللهُ برحمتِه أقواماً لم يعملوا خيراً قط. روى مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ"**.

قوله: " بِحِكْمَةٍ ": أي أنَّ دخولَ أهل النار النار وخلودهم فيها أبدًا إنَّما هو لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، فأفعاله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته، فمِن أسماءِ اللهِ تعالى الحكيمَ، والحكيمُ هو الحاكِمُ المحكِمُ الذي يحكُمُ الأشياءَ كونًا وشَرْعًا.

قال ابنُ حزمٍ في المحلى (١/ ٣٨): كُلُّ أفعالِه تعالى عدلٌ وحِكمةٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى واضِعُ كُلِّ موجودٍ في مَوضِعِه، وهو الحاكِمُ الذي لا حاكِمَ عليه ولا مُعَقِّبَ لحُكمِه. اهـ

وسبب دوام العذاب على أهل النار وخلودهم فيها هو دوام الكفر في قلوبهم؛ فلهذا استحقوا الخلود في النار، فدوام العذاب بدوام سببه.

وقد أخبر الله سبحانه وهو العليم الحكيم أنَّ أهل النار لو خرجوا من النار وردُّوا إلى الدنيا لأصروا على كفرهم واستمروا عليه، حتى بعد معاينتهم لنار جهنم وما فيها من العذاب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام:٢٧-٢٨].

قال ابن القيم: العقل يدل على خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها فإنَّ نفوسهم غير قابلة للخير فإنَّهم لو خرجوا منها لعادوا كفارًا كما كانوا وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ وهذا يدل على غاية عتوهم، وإصرارهم، وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه، فلا تصلح نفوسهم الشريرة الخبيثة إلا للعذاب، ولو صلحت لصلحت على طول العذاب، فحيث لم يؤثر عذابهم تلك الأحقاب الطويلة في نفوسهم، ولم يطيبها عُلِمَ أنه لا قابلية فيهم للخير أصلا، وأن أسباب العذاب لم يطف من نفوسهم، فلا يطفى العذاب المترتب عليها، وهذه الطريق وإن أنكرت ببادئ الرأي فهي طريق قوية وهي ترجع إلى طريق الحكمة وأن الحكمة التي اقتضت دخولهم هي التي اقتضت خلودهم. اهـ(١)

قال العلامة الشنقيطي: وقد عَلِمَ الله في سابق علمه أنَّ الخُبث قد تأصل في أرومة هؤلاء الخبثاء بحيث إنهم لو عُذبوا القدْر من الزمن الذي عصوا الله فيه ثم عادوا إلى الدنيا

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٦٠)

لعادوا لما يستوجبون به العذاب، لا يستطيعون غير ذلك. "انتهى من" مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي "

وقوله: " وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ ":

قوله: " وَكَذَا ": أي بحكمة الله أيضًا وبفضله ورحمته أنَّه يجازي المحسنين المتقين على إحسانهم، وذلك بأن يدخلهم جنته التي أعدها لهم، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ "**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**"

فقد اقتضت حكمة الله أنَّ من كان طيبًا لا خُبثَ فيه فإنَّه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأنَّ من اجتمع فيه خبث وطيب -وهم عصاة الموحدين- فإنَّه يدخل النار بقدر ما عنده من الخبث فيتطهر فيها من الخبث الذي فيه ثم يدخل الجنة طيبًا، فإنَّ الجنة دار الطيب المحض.

وأمَّا الذي استأصل فيه الخبث فإنَّه قد اقتضت حكمة الله خلوده في جهنم وعدم الخروج منها كما تقدم ذكره. (١)

وقوله: "وَكَذَا التَّقِيُّ": **التَّقِيُّ**: مأخوذ من التقوى؛ وهي أن تجعل بينك وبين عذاب الله حاجزًا ووقاية، ويكون ذلك بالعمل بأوامر الله والانتهاء عن نواهي الله فمن فعل ذلك فهو التقي حقًا.

---

(١) انظر كلام ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٠)

والتقوى لا تكون إلا على علم، فمن علم ماذا يتقي؛ علم كيف يتقي، والموفق من وفقه الله للعمل بالتقوى.

قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ. (١)

قوله: " إِلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ ": الجنان جمع جنة: والجَنَّةُ هي دار الخلود والكرامة التي أعدها الله عز وجل للمؤمنين المتقين، وفيها من النعيم المقيم الأبدي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأعظم نعيم الجنة النظر إلى وجه ربنا الكريم، قال الله سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣]

دلَّت هذه الآية وغيرها من الآيات أنَّ تقوى الله هي السبب الذي به تنال الجنة، كقوله: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ ﴾ [سورة مريم: ٦٣]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ ﴾ [سورة الطور: ١٧].

فانظر أي الرجلين أنت وما هي أعمالك التي ستقدم بها على ربك سبحانه وتعالى، وكن مستعدًا بزادك الذي تلقى به الله، وخير ما تزود به العبد تقوى الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧].

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٣٥١)

فائدة:

هل الجنة والنار موجودتان الآن أم لا؟

قال شارح الطحاوية: اتفقَّ أهلُ السُنة على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان، موجودتان الآن. اهـ والأدلة على ذلك كثيرة، ليس هذا محل بسطها، ويكفي من ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: "**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**".

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

في هذا البيت يذكر شيخ الإسلام رحمه الله الكلام على القبر والحياة البرزخية، وما يكون فيها من أحداث وسؤال الملكين.

قوله: " وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ ": أي لكل من كان على وجه هذه الأرض من المكلفين، فالمكلف وهو من اجتمعت فيه هاتان الصفتان؛ الحياة والعقل، وهي صفةٌ للإنسان.

فمن لم يكن حيًا فليس بموجود، ومن كان حيًا لكنه بلا عقل فليس بمكلَّف وقد رُفِع عنه القلم.

قوله: " فِي قَبْرِهِ ": القبر هو مدفن الإنسان، وجمعه قبور، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ [سورة عبس: ٢١]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي أكرمه بدفنه، وقد يراد به البرزخ الذي بين موت الإنسان وقيام الساعة وإن لم يدفن، كما قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٠]، يعني من وراء الذين ماتوا لأن أول الآية يدل على هذا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. قاله العثيمين.[1]

فالمقصود بالقبر: هي الحفرة التي يوضع فيها الميت، وكل مكان تُخْفَى فيه جثة الميت فهو قبر، ولو في البحر أو في بطون السباع، والتي يجازى فيه بحسب عمله.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الحادي عشر - باب اليوم الآخر.

قال العلامة العثيمين: هل الداعي إذا دعا: "أعوذ بالله من عذاب القبر" يريد عذاب مدفن الموتى، أو من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام الساعة؟

الجواب: يريد الثاني لأنَّ الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويدفن أو يموت وتأكله السباع، أو يحترق ويكون رماداً ما يدري ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان: ٣٤]، فاستحضر أنك إذا قلت: من عذاب القبر أي من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام الساعة. اهـ

قوله: " عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ ": بمعنى أنَّ عمله يكون مقارنًا له، ومصاحبًا له، وملازمًا له طوال مكثه في قبره فيكون له كالقرين، **فالقَرِينُ**: هو المصاحِبُ والملازِمُ، وقد دلت الأدلة المتكاثرة على ذلك ومنها:

في الصحيحين عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ"**.

وفي حديث البراء عند أحمد: **"ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ حَسَنُ الثِّيَابِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنْ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ"**.

وغير ذلك من الأدلة.

ولذلك قال العلامة عبد الرحمن المعلمي: فإنما قبرُ الإنسانِ عملُه عندَ مَن يفهم، فَلْيَعْمُرْ كلٌّ منكم قبرَه كيف شاءَ فيحمَد أو يندَم. ولا بدَّ من المعاملة في القبر لأهل الطاعة والعصيان، فيُجازَى أهلُ الإساءة بالسوء، وأهلُ الإحسان بالإحسان.

وقال: وإنَّ قبرَ الإنسان ومنزلَه في الآخرة هو عملُه، فإنْ كان عملُه صالحًا فقبرُه ومنزلُه صالح. وإنْ كان عملُه سيئًا فإنَّ قبرَه ومنزلَه سيئ. فَلْيَخْتَرْ لنفسه، ولينظُرْ بعقله، فيمهِّدْ لمصيره. اهـ

فليتنا نفهم هذا ونفقهه.

قوله: " وَيُسْأَلُ ": أي في قبره، وقد وكَّل الله ملكين لسؤال العباد في قبورهم، فيُسأل العبد في قبره ثلاثة أسئلة: من ربك؟ ما دينك؟ ما ذلك الرجل الذي بُعث فيكم؟

وهذا السؤال عامٌ لكل بني آدم، واستثني من هذا السؤال الأنبياء؛ فإنَّ النَّاس عنهم يُسألون، وكذا الشهيد والمرابط لورود الأدلة في أمانهم من فتنة القبر وهي سؤال الملكين.

والناس جميعًا في السؤال على فريقين لا ثالث لهما إما أن يوفقه الله للإجابة ويثبته وهو المؤمن، وإما أن يُحال بينه وبين الجواب وهذان هما الكافر والمنافق، كما دلَّ على ذلك حديث البراء عند أبي داود وأحمد أنَّ النبي ﷺ ذكر العبد المؤمن فقال: "**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُك؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي**".

ثم ذكر العبد الكافر فقال: "**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ**".

وفي رواية في الصحيحين بنحوه: **وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالكَافِرُ**.

وعلى ذلك السؤال يترتب عذاب القبر ونعيمه، سواء دفن في قبره أو أكلته السباع أو أصابه الغرق، فإنَّه لا يفر مِن السؤال ولا من عذاب القبر إن كان مستحقًا له.

قال ابن القيم في كتاب "الروح" (ص ٧٨):

"ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ عذاب القبر هو عذابُ البرزخ، فكل مَن مات وهو مستحقٌّ للعذاب ناله نصيبُه منه قُبِرَ أو لم يُقْبر، فلو أكلته السِّباع، أو أُحرق حتى يصير رَمادًا، ونُسف في الهواء، أو صُلِب، أو غَرِق في البحر وصل إلى رُوحه وبدنِه من العذاب ما يصل إلى القبور". اهـ

وسواء كان المقبور معذبًا أو منعمًا فإنَّ ذلك العذاب ليس من عذاب الدنيا ولا النعيم من نعيم الدنيا، بل كلُّه من قِبل الآخرة، ولذلك كان أهل الدنيا لا يشعرون به ولا يرونه، ولو كانوا بجواره في تلك الحفرة.

وقال في (ص ٨٩): "إن النار التي في القَبر والخضرة ليست مِن نار الدنيا ولا من زُروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها، وهي أشدُّ من نار الدنيا، فلا يحسُّ به أهل الدنيا، فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حرًّا من جمر الدنيا، ولو مسَّها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن الرَّجلين يُدفنان أحدهما إلى جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرُّها إلى جاره، وذلك في رَوضة من رياض الجنة لا يصل رَوْحُها ونَعيمها إلى جارِه، وقُدرة الربِّ تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا اللهُ من آيات قدرته في هذه

الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مُولعة بالتكذيب بما لم تُحط به علمًا إلا من وفَّقه الله وعصمه، فيُفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التَّنُّور، فإذا شاء الله سبحانه أن يُطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيَّبه عن غيره، إذ لو اطَّلع العِباد كلُّهم لزالت كلمةُ التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيحين عنه ﷺ: "**لولا أن لا تَدافنوا لدعوتُ اللهَ أن يُسمِعَكم من عذابِ القبر ما أسمعُ**". اهـ

قال الناظم رحمه الله:

هذا اعْتِقَادُ "الشَّافِعِيِّ" و"مَالِكٍ" وَ "أَبِي حَنِيفَةَ" ثُمَّ "أَحْمَدَ" يُنْقَلُ
فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

هذان البيتان يدلان على أنَّ هذا الاعتقاد هو الاعتقاد الصحيح الذي سار عليه هؤلاء؛ بل وسار عليه مَن قبلهم مِن أئمة الهدى اتباعًا لهدي النبي ﷺ، فمن سار على هذا الطريق واقتفى نهج السلف فهو الموفق بتوفيق الله عز وجل، ومن خرج عن هذا الطريق إلى البدع والضلالات والأهواء فعلى نفسه جنى.

وإنَّما ذكر هؤلاء الأربعة دون غيرهم؛ لاشتهارهم ولأنهم كانوا أئمة هدى في هذا الطريق، ولأنهم الذين اشتهرت أقوالهم وانتشرت، وكُتِبَ لهم القبول، فكان النَّص عليهم أدعى لقبول ما تضمنته هذه الأبيات في العقيدة، فالمنتسب للشافعي إذا علم أنَّ هذه عقيدة الشافعي كان ذلك حاملاً له على أن يعتقد ما اعتقده، وهكذا قل في مالك وأبي حنيفة وأحمد.

وإلا فهم لم يأتوا بمعتقد جديد وإنَّما ساروا على درب من سبقهم واقتفوا الأثر، فالأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى كلهم كان سلفيًا في معتقده، وكانوا متبعين لحديث النبي ﷺ؛ فمتى ثبت الحديث أخذوا به وطرحوا رأيهم جانبًا فرحمهم الله جميعًا، وجمعنا بهم في جنته.

قوله: "هذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ":

أي كل ما مر ذكره مِن الأمور في العقيدة وأمر الغيبيات، هو معتقد هؤلاء الأئمة يثبتونه ويعتقدونه ولا يحيدون عنه.

بدأ بالشافعي لأجل يتوافق ذكرهم مع سلاسة القصيدة، ولو تحرَّى ترتيبهم الزمني لاختل وزن القافية، فلهذا هو لم يراع الترتيب في ذلك، فتنبه لهذا.

و" الشَّافِعِيّ ":

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبِيّ القُرَشِيّ، وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة.

وُلد بغزة عام ١٥٠ هـ، وانتقلت به أمُّه إلى مكة وعمره سنتان، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، ثم أخذ يطلب العلم في مكة حتى أُذن له بالفتيا وهو فتىً دون عشرين سنة. هاجر الشافعي إلى المدينة المنورة طلباً للعلم عند الإمام مالك بن أنس، ثم ارتحل إلى اليمن وعمل فيها، ثم ارتحل إلى بغداد سنة ١٨٤ هـ، فطلب العلم فيها عند القاضي محمد بن الحسن الشيباني، وأخذ يدرس المذهب الحنفي، وبذلك اجتمع له فقه الحجاز (المذهب المالكي)، وفقه العراق (المذهب الحنفي). عاد الشافعي إلى مكة وأقام فيها تسع سنوات تقريباً، وأخذ يُلقي دروسه في الحرم المكي، ثم سافر إلى بغداد للمرة الثانية، فقدِمها سنة ١٩٥ هـ، وقام بتأليف كتاب الرسالة الذي وضع به الأساسَ لعلم أصول الفقه، ثم سافر إلى مصر سنة ١٩٩ هـ. وفي مصر، أعاد الشافعي تصنيف كتاب الرسالة الذي كتبه للمرة الأولى في بغداد، كما أخذ ينشر مذهبه الجديد، ويجادل مخالفيه، ويعلِّم طلابَ العلم، حتى توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ.

وهو أول من ألَّف في علم أصول الفقه، وله باعه في علم التفسير وعلم الحديث، وله مؤلفات عظيمة استفاد الناس منه.

وكان مجددا للإسلام وقد جاء في سنن أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** "

قال أحمد بن حنبل: فكان في المائة الأولى: عمر بن عبد العزيز، وفي المائة الثانية: الشافعي.

وكان الإمام أحمد كثيرًا ما يدعو للشافعي، فقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: يا أبة، أي رجل كان الشافعي؟ فإني أسمعك تكثر الدعاء له، فقال: يا بني، كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من عوض أو خلف؟

قوله: و" مَالِكٍ ":

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، وهو ثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة.

وُلد الإمام مالك بالمدينة المنورة سنة **٩٣**هـ، ونشأ في بيتٍ كان مشتغلاً بعلم الحديث واستطلاع الآثار وأخبار الصحابة وفتاويهم، فحفظ القرآن الكريم في صدر حياته، ثم اتجه إلى حفظ الحديث النبوي وتعلُّمِ الفقه الإسلامي، فلازم فقيه المدينة المنورة ابن هرمز سبع سنين يتعلم عنده، كما أخذ عن كثير من غيره من العلماء مثل نافع مولى ابن عمر وابن شهاب الزهري، وبعد أن اكتملت دراسته للآثار والفُتيا، وبعد أن شهد له سبعون شيخاً من أهل العلم أنه موضع لذلك، اتخذ له مجلساً في المسجد النبوي للدرس والإفتاء، وقد عُرف درسُه بالسكينة والوقار واحترام الأحاديث النبوية وإجلالها، وكان يتحرزُ أن يُخطئ في إفتائه ويُكثرُ من قول "لا أدري"، وكان يقول: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه".

وقد اشتُهر رحمه الله بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتثبُّته فيه، وكان معروفاً بالصبر والذكاء والهيبة والوقار والأخلاق الحسنة، وقد أثنى عليه كثيرٌ من العلماء منهم

الإمام الشافعي بقوله: "إذا ذُكر العلماء فمالك النجم، ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين". ويُعدُّ كتابه "الموطأ" من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها وأصحِّها، حتى قال فيه الإمام الشافعي: "ما بعد كتاب الله تعالى كتابٌ أكثرُ صواباً من موطأ مالك". وقد اعتمد الإمام مالك في فتواه على عدة مصادر تشريعية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب.

وفي سنة ١٧٩هـ مرض الإمام مالك اثنين وعشرين يوماً ثم مات، وصلى عليه أميرُ المدينة عبد الله ابن محمد بن إبراهيم، ثم دُفن في البقيع.

قوله: وَ" أَبِي حَنِيفَةَ ":

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن مرزُبان الكوفيّ ولد سنة٨٠ للهجرة وتوفي سنة ١٥٠ للهجرة، وهو أول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، ويُعد أبو حنيفة من التابعين، فقد لقي عدداً من الصحابة منهم أنس بن مالك، وكان معروفاً بالورع وكثرة العبادة والوقار والإخلاص وقوة الشخصية.

قوله: " ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ": أي ينقل عنه هذا المعتقد أيضًا.

وأحمد هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي، وهو رابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة.

وُلد أحمد بن حنبل سنة ١٦٤هـ في بغداد ونشأ فيها يتيماً، وقد كانت بغداد في ذلك العصر حاضرة العالم الإسلامي، تزخر بأنواع المعارف والفنون المختلفة، وكانت أسرة أحمد بن

حنبل توجهه إلى طلب العلم، وفي سنة ١٧٩هـ بدأ ابن حنبل يتَّجه إلى الحديث النبوي، فبدأ يطلبه في بغداد عند شيخه هُشَيم بن بشير الواسطي حتى توفي سنة ١٨٣هـ، فظل في بغداد يطلب الحديث حتى سنة ١٨٦هـ، ثم بدأ برحلاته في طلب الحديث، فرحل إلى العراق والحجاز وتهامة واليمن، وأخذ عن كثير من العلماء والمحدثين، وعندما بلغ أربعين عاماً في سنة ٢٠٤هـ جلس للتحديث والإفتاء في بغداد، وكان الناس يجتمعون على درسه حتى يبلغ عددهم قرابة خمسة آلاف.

اشتُهر الإمام أحمد بصبره على المحنة التي وقعت به والتي عُرفت باسم "فتنة خلق القرآن"، وهي فتنة وقعت في العصر العباسي في عهد الخليفة المأمون، ثم المعتصم والواثق من بعده، إذ اعتقد هؤلاء الخلفاء أن القرآن مخلوق محدَث، وهو رأي المعتزلة، ولكن ابن حنبل وغيره من العلماء خالفوا ذلك، فحُبس ابن حنبل وعُذب، ثم أُخرج من السجن وعاد إلى التحديث والتدريس، وفي عهد الواثق مُنع من الاجتماع بالناس، فلما تولى المتوكل الحكمَ أنهى تلك الفتنة إنهاءً كاملاً.

وفي شهر ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، مرض أحمد بن حنبل ثم مات، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة.

قوله: "فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ":

يبين رحمه الله في هذا الشطر أنَّ من أراد النجاة فعليه باتباع طريق السلف، فإنَّ السبيل هو الطريق، فمن كان متبعًا لسبيل السلف الصالح فتلك علامة على توفيق الله عز وجل له؛ بأن هداه إلى هذا الطريق.

فالتوفيق هو إصابة الصواب وإدراك المطلوب فالموفق هو من أصاب غرضه وأدرك مطلوبه.

قوله: "فَإِنِ اتَّبَعْتَ":

الاتباع: اقتفاء الأثر. يقال: تبعه واتبعه.

قوله: "سَبِيلَهُمْ":

السَّبِيلُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدَادِهِ.، والمقصود به اتباع سبيل المؤمنين من الصحابة ومن سار على هديهم ممن جاء بعدهم.

قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سورة النساء: ١١٥].

فنحن مأمورون باتباع سبيل المؤمنين والسير على طريقهم، وعدم مخالفتهم.

والسبيل هو سبيل الله سبحانه وتعالى وهو شرعه؛ لأنه يهدي إليه، ويوصل إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

وأضيف الصراط إلى الله لسببين:

السبب الأول: أنه هو الذي وضعه لعباده، وشرعه لهم.

والسبب الثاني: أنه موصل إليه؛ ويضاف "السبيل" أحياناً إلى سالك السبيل؛ فيقال: سبيل المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء: ١١٥]؛ ولا تناقض بينهما؛ لأنه يضاف إلى المؤمنين باعتبار أنهم هم الذين سلكوه؛ وإلى الله باعتبار أنه الذي شرعه، وأنه موصل إليه. اهـ(١)

قوله: " وَإِنِ ابْتَدَعْتَ ":

أي إن أتيت ببدعةٍ وقولٍ لم تُسبقْ إليه، وخالفت سير الأولين الذين أُمِرت باقتفاء أثرهم.

والبِدْعَةُ: هي التعبد لله بما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى، ولم يكن عليه نبينا ﷺ وأصحابه.

فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع، سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه.(٢)

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٥/ ٢٤٤)

(٢) **قال شيخ الإسلام**: الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ هِيَ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ وَلَا اسْتِحْبَابٍ. فَأَمَّا مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ وَعُلِمَ الْأَمْرُ بِهِ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ: فَهُوَ مِنْ الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا مَفْعُولًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ لَمْ يَكُنْ فَمَا فُعِلَ بَعْدَهُ بِأَمْرِهِ – مِنْ قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَإِخْرَاجِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ – هُوَ مِنْ سُنَّتِهِ. وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: " سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنًا: الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ. لَيْسَ لِأَحَدِ تَغْيِيرُهَا وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيِ مَنْ خَالَفَهَا؛ مَنْ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ. وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ. وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ". انتهى مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧):

قوله: " فَمَــا عَلَيْــكَ مُعَــوَّلُ ":

التعويل: الاعتماد على الغير، والمُعَوَّلُ عَلَيْهِ: أي المُعْتَمَد عَلَيْهِ، بمعنى من يرجع إلى كلامه ويؤخذ عنه.

والمعنى: إن كنت مِن أهل البدع فليس يعتمد عليك، ولا يُستعان بمثلك، ولا يُنظر إليك ولا لفعلك، ولا يؤخذ بكلامك، ولا يعول على كتاباتك وما تقوله، ولن تجد بركةً لما تقول أو تكتب؛ فإنَّك قد خالفت خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، وستذهب كأمس الدابر، ولن يرجع وبال ذلك إلا عليك.

قال الله سبحانه في الحديث القدسي: "**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**".

انتهى المقصود

وما أردت توضيحه وبيانه في هذه المنظومة، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

كان الفراغ من هذا الشرح

في السابع عشر مِن شهر جمادى الآخرة لسنة خمس وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة

على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم

المحتويات

تقديم الشيخ الفاضل ٢
أبي عبد الله عبد الرحمن الشميري حفظه الله ٢
المقدمة ٣
ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤
اسمه: ٤
مولده: ٤
نشأته ومكانته العلمية: ٤
قال عنه الحافظ المزي: ٤
وقال عنه الذهبي: ٥
وقال الواسطي: ٥
وقال بعض معاصريه: ٥
شيوخه: ٥
تلاميذه: ٥
مؤلفاته: ٥
قال الذهبي: ٥
وفاته: ٦
قال أهل التاريخ عن جنازته: ٦
قال تلميذه ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥٢٤): ٦
نسبة اللامية لشيخ الإسلام ٧
القول الأول: ٧
المرداوي فقد شرح القصيدة في كتابٍ أسماه: ٧
الألوسي في كتابه "جلاء العينين" (صـ ٧٣) حيث قال ٧
والشيخ عبد العزيز الرشيد في شرحه على الواسطية، ٧
القول الثاني: ٨
نصُّ المنظومة ١٠
قوله: "يا سَائِلِي": ١١
قوله: "مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي": ١١
قوله: "رُزِقَ الهُدى": ١١

قوله: "مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ": ١٢
وقول الناظم: "رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ": ١٢
قال العلامة ابن كثير: ١٣
قوله: "اسْمَعْ": ١٤
وقوله: "كَلامَ مُحَقِّقٍ": ١٤
والفرق بينهما: أنَّ الشك: ١٦
قوله: "محَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ": ١٦
قوله: "لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ": ١٦
قوله: "وَلاَ يَتَبَدَّلُ": ١٦
قال الحافظ ابن حجر ١٧
وفي قوله: "لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ": ١٧
قال السِّنْدِي: قَوْله: ١٧
قوله: "حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ": ١٨
قال النووي في التقريب: ١٩
وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ١٩
قوله: "كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ" ١٩
قوله: "وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ": ٢٤
قوله: "وَمَوَدَّةُ القُرْبَى": ٢٤
وقوله: "بِهَا أَتَوَسّلُ": ٢٧
وقول الناظم: "بِهَا أَتَوَسّلُ": ٢٨
قوله: "وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ علا وَفَضائلٌ": ٢٩
قوله: "لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَل": ٢٩
قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٣): ٢٩
قوله: "لكِنَّما الصِّديقُ": ٣١
قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١٨١/٢): ٣١
قوله: "مِنْهُمْ أَفْضَلُ": ٣٢
قوله: "وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ": ٣٤
قوله: "مَا جَاءَتْ بِهِ آياتُهُ": ٣٤
فالكريم ٣٦
و "الْمُنزَلُ": ٣٦

يقول شيخ الإسلام مستدلاً بصريح الآيات السابقة: ٣٧
فقوله: "وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي": ٣٩
قوله: "وَلاَ أَتَأَوَّلُ": ٣٩
وقوله: "وَلاَ أَتَأَوَّلُ": ٤٠
قال شيخ الإسلام وهو يتكلم عن كتابته للعقيدة الواسطية: ٤٠
قوله: "وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ": ٤١
قوله: "أُمِرُّهَا حَقّاً": ٤١
قال شيخ الإسلام في الحموية (ص: ٢٩٩): ٤٢
قوله: "الطِّرَازُ": ٤٣
و" الأَوَّلُ": ٤٣
قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ٣٢٤): ٤٤
قوله: "وأَرُدُّ عُهْدَتَها إلى نُقَّالِهَا": ٤٦
فقوله: "وأَرُدُّ عُهْدَتَها إلى نُقَّالِهَا": ٤٦
قوله: "وأَصُونُها": ٤٧
وقوله: "عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ": ٤٧
قوله: "قبحًا": ٤٩
قوله: "لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ": ٤٩
والمقصود بقوله: "نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ": ٥٠
قوله: "وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ ": ٥٠
أولًا: الأدلة من كتاب الله: ٥٣
قال الشَّافعيُّ رحِمه الله: ٥٣
ثانيًا الأدلة من السنة: ٥٤
قال الطحاوي بعد ذكر الأدلة السابقة: ٥٥
ثالثًا الإجماع: ٥٥
ومن أنكر رؤية الله في الآخرة كفر. ٥٦
قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦ /٤٨٦): ٥٦
وقال العلامة ابن باز رحمه الله: ٥٦
فائدة: ٥٦
قوله: "وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ" ٥٧
وقال اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣٤): ٥٧

قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول (٥): ٥٧
وقوله: "بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ ": ٥٨
قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول (ص٢٣٢): ٥٨
قال شيخ الإسلام في رده على هذه الشبهة: ٥٨
قال الناظم ٦٠
قوله: "وأُقِرُّ بالْمِيزَانِ": ٦٠
قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٤٥): ٦٠
قالَ ابنُ بطَّة: ٦١
ما الذي يوزن في هذا الميزان؟ ٦١
قال الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول (٢/ ٢٢٠): ٦٢
قوله: "وَالْحَوضِ الَّذِي أَرجُو بِأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ" ٦٢
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٦٩): ٦٢
قال أبو العباس القرطبي: ٦٣
وقال السفاريني: ٦٣
وأما من يردُ الحوض: ٦٣
قال القرطبي في التذكرة (٣٧٣/١): ٦٣
قوله: "أَرجُو بِأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ": ٦٤
قال الناظم ٦٥
قوله: " الصِّراطُ ": ٦٥
قوله: " يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمَ ": ٦٥
قوله: "فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمِلُ": ٦٥
قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩): ٦٥
وقد أجمَعَ أهلُ العِلمِ على ثُبوتِ الصِّراطِ وأنَّه جِسرٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، وممن نقل الإجماع ابن القطان وأبو الحسن الأشعري والقاضي عياض وغيرهم. ٦٦
قال ابن القطان في مسائل الإجماع (١/ ٥٢): ٦٦
وقال أبو الحَسَنِ الأشعَريُّ: ٦٦
وَأوَّلُ مَن يُجيزُ الصِّراطَ النَّبيُّ ﷺ ثُمَّ أمَّتُه: ٦٦
قال الناظم ٦٧
قوله: " والنَّارُ ": ٦٧
قوله: "يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ": ٦٧

قال العلامة ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٢١): ٦٧
والذين يدخلون النار على قسمين: ٦٧
قوله: " بِحِكْمَةٍ ": ٦٨
قال ابنُ حزمٍ في المحلى (١/ ٣٨): ٦٨
قال ابن القيم: ٦٩
قال العلامة الشنقيطي: ٦٩
وقوله: " وَكَذَا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ ": ٧٠
قوله: " وَكَذَا ": ٧٠
وقوله: "وَكَذَا التَّقِيُّ": ٧٠
قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ٧١
قوله: " إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ ": ٧١
فائدة: ٧٢
قال شارح الطحاوية: ٧٢
قوله: " ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ ": ٧٣
قوله: " في قَبْرِهِ ": ٧٣
قال العلامة العثيمين: ٧٤
قوله: " عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ ": ٧٤
ولذلك قال العلامة عبد الرحمن المعلمي: ٧٤
قوله: " وَيُسْأَلُ ": ٧٥
قوله: "هذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ": ٧٨
و" الشَّافِعِيِّ ": ٧٩
قوله: و" مَالِكٍ ": ٨٠
قوله: وَ" أَبِي حَنِيفَةَ ": ٨١
قوله: " ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ": ٨١
قوله: "فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ": ٨٢
قوله: "فَإِنِ اتَّبَعْتَ": ٨٣
قوله: "سَبِيلَهُمْ": ٨٣
قوله: " وَإِنِ ابْتَدَعْتَ ": ٨٤
قوله: " فَمَـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ ": ٨٥